تهذيب
الرفاعية

تأليف
عبد الرحمن دمشقية

تهذيب
سعد بن عبد الرحمن الحصين
عفا الله عنه

الطبعة الأولى للأصل
١٤١٠ هـ

الطبعة الأولى للتهذيب
١٤١٢ هـ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.
أما بعد:

فيأتي هذا البحث ضمن سلسلة دراسات عن التصوف، هو الثالث من بينها بعد كتاب «النقشبندية» وكتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله. وهذه الدراسات إنما تهدف إلى إعادة النظر في هذه الطرق وتقييمها.

لقد بقيت هذه الطرق تؤكد بحزم وثبات أن أحوالها وأفعالها وأذكارها مطابقة للسنّة المطهّرة، وجاءت هذه الدراسات لتتحقق من مدى صدق هذه الدعوى.

فإنّ الناس يدّعون ما يشاؤون، غير أنه بالتمحيص والتجربة يميّز الخبيث من الطيب، ويفترق الحق عن الباطل.

وهذا البحث الثالث في سلسلة دراسات التصوف يتناول الطريقة الرفاعية الواسعة الانتشار في بلاد الشام وتركيا ومصر ولبنان وغيرها، ويفصل مبادئها وميولها ومراتبها واتجاهاتها.

ولقد حرصت فيه على الإكثار من النقل عن مصادر الطريقة الرفاعية وكتبها المعتمدة.

لقد سافرت خصيصاً من أجل البحث عن كتب الرفاعية والحصول على نسخها بغية قراءتها، ووجدت بغيتي في دار الكتب المصرية بالقاهرة التي وجدت فيها ما يزيد على الستين كتاباً غالبيتها من تصنيف محمد أبي الهدى بن حسن وادي

الصيادي الـذي كان مستشاراً دينياً ومرجعاً أعلى للخليفة العثماني السلطان عبد الحميد رحمه الله .

لقد حرصت في بحثي هذا على عزو النقول إلى أصحابها وبيان أسماء كتبهم وأرقام صفحاتها ومكان وتاريخ طبعها لأسهل الطريق على كل من أراد التثبت من صحتها .

ونسأل الله السداد في القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

الكتاب الأول

الرفاعي

الفصل الأول

سيرة الرفاعي من خلال كتب المؤرخين[1]

ولد الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله في أول سنة خمس مائة هجرية.

قال الذهبي في ترجمة الرفاعي: «الإمام القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي... قدم أبوه من بلاد المغرب، وسكن البطائح في قرية «أم عبيدة» وهي قرية من قرى واسط بالعراق. ثم توفي وأم أحمد حمل به[2]. ونشأ في كنف خاله الشيخ منصور الزاهد الذي اعتنى به. وكان شافعياً تفقه قليلاً[3] على مذهب الشافعي رحمه الله. قال الحافظ ابن كثير في

(١) مصادر نقترح الرجوع إليها في ترجمة الشيخ أحمد الرفاعي وهي:
سير أعلام النبلاء ٢١/٧٧، العبر في خبر من غبر ٣/٧٥، البداية والنهاية ٢١/٣١٢، الكامل في التاريخ ١١/٢٠٠، مرآة الزمان لابن الجوزي السبط ٨/٣٧٠، الوافي بالوفيات ٧/٢١٩، وابن العماد في الشذرات ٤/٢٥٩، وابن خلكان في الوفيات ١/١٧١.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٧٧ - ٨٠.

(٣) هذا اللفظ للذهبي كما في كتابه العبر في خبر من غبر ٣/٧٥، ط. دار الكتب العلمية ١٩٨٥م، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

البداية والنهاية: «ويقال إنه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب الشافعي»[1].

قال الـذهبي: «وكـان كثير الاستغفـار عالي المقـدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص، وكان متواضعاً يجمع الحطب ويجيء به إلى بيوت الأرامل». وكان يقول: «أقرب الطريق الانكسار والذل والافتقار، تعظم أمر الله، وتشفق على خلق الله وتقتدي بسمة رسول الله ﷺ». وكان لا يجمع بين لبس قميصين، ولا يأكل إلّا بعد يومين أو ثلاثة أكلاً، وإذا غسل ثوبه ينزل في الشط كما هو قائم يفركه، ثم يقف في الشمس حتى ينشف، وإذا ورد ضيف يدور على بيت أصحـابه يجمع الطعام في مئزر.

توفي سنة ثمان وسبعين وخمس مئة في جمادى الأولى رحمه الله.

ثم إن الذهبي قال في كتاب العبر: «وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمـة والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن ولكن أصحابه فيهم الجيد والـرديء، وقـد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا: ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان»[2].

مؤلفات الشيخ أحمد الرفاعي:

وقد نسبت إلى الرفاعي كتب ورسائل عديدة، فأمّا الكتب فنسب إليه كتاب البـرهـان المؤيد وكتاب حالة أهل الحقيقة مع الله، وهذان الكتابان يعتبران عند الرفاعية من أوثق ما نسب إلى الشيخ[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢١/٣١٢.

(٢) العبر للذهبي ٣/٧٥.

(٣) انظر المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية لأحمد بن عبد الرحيم الصيادي ٦٥، وانظر خزانة الإمداد ٦٤، وكتاب سواد العينين للشيخ عبد الكريم الرافعي.

وهناك كتب أخرى جمعها المنتسبون إليه من بعده ككتاب «المجالس الرفاعية»، وكتاب «رحيق الكوثر» وكتاب «حكم الرفاعي». وذكر الزركلي بعضاً من أبيات الشعر التي نسبت إليه وقال: إنَّ الصحيح أنها ليست له[1].

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد في كتابه «حالة أهل الحقيقة مع الله» النهي عن الاستغاثة بغير الله مرات عديدة، فيذكر فيه مثلاً: أن الله غضب من أحد الزهاد لما أراد أن يستغيث بغيره وقال له: «أتستغيث بغيري وأنا الغياث»[2].

وكذلك كان موقفه من البِدَع أشد بكثير مما هو حال المنتسبين إليه اليوم، وكان يقول: «مَنْ لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره لم يثبت في ديوان الرجال»[3].

إذن، فأقوال الرفاعي الثابتة عنه تظهره في شخصية تختلف تماماً عن الصورة التي ترسمها له كتب الرفاعية في ذهن القارىء.

إننا نجد الرفاعي هنا ينهى عن الاستغاثة بغير الله وعن الابتداع في الدين مهما كان قليلاً إلى درجة أنه يروي عن أحد السلف توقفه عن أكل البطيخ لأنه لم يرو له كيف أكله رسول الله ﷺ.

فهل يتفق حاله هذا مع ما عليه المنتسبون إليه من بعده؟

وهل التزموا ما كان يحث عليه من التقيد التام بالكتاب والسنة وترك بناء الدين على الخيالات، واستنباط أحكام الدين من المشاهدات المنامية وإن خالفت الأحكام الشرعية؟

فلنتابع قراءة الفصول القادمة، فإنها تحكي الجواب على ذلك..

---

(١) الأعلام للزركلي ١/١٧٤.

(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله ١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) الفجر المنير ٦٣، الكليات الأحمدية ١٢٠ و ١٢١، حكم الرفاعي ٢١، قلادة الجواهر ١٧٤، حكم الرفاعي ٢١، وانظر كتاب الأنوار القدسية ٢/٢٦ للشعراني.

الفصل الثاني

سيرة الرفاعي في كتب الرفاعية

تختلف سيرة الرفاعي عند الرفاعية اختلافاً كبيراً عما نجده من سيرته في كتب المؤرخين وما على القارىء إلّا أن يتابع ما أنقله عن كتبهم ليتأكد من ذلك.

مولده وخلقته:

لقد سرى بين الصوفية اعتقاد أن الأنبياء والأولياء خلقوا من مادة متميزة على المادة التي خلق منها البشر.

فنجد عند السهروردي مثلاً أنّ الطينة التي خلق منها البشر قد وطئتها قدما إبليس قبل أن يأخذها جبريل لتتكوّن منها المخلوقات.

بينما الطينة التي خلق منها الأنبياء والأولياء لم تمسهما قدما إبليس فبقيت زكية نقية[1].

وأمّا أرواح الأنبياء والأولياء فإنها تختلف أيضاً عن طبيعة أرواح البشر فيما يرى الإمام الغزالي، حيث يصف أرواح الأنبياء والأولياء بـ «الروح الأمرية»، وأرواح باقي البشر بأنها «الروح اليهيمية»[2].

---

(١) عوارف المعارف ٤٢ ـ ٤٧ ملحق بكتاب إحياء علوم الدين.

(٢) الأربعين في أصول الدين ١٩٥.

وكانت هذه الأفكار مصدراً لباقي المتصوفة الذين غلوا في مشايخهم، حيث جعلوا لهم خلقة غير الخلقة المعهودة عند باقي البشر.

فنجد محمد أبا الهدى الصيادي الرفاعي يجعل روح الشيخ أحمد الرفاعي مركبة من خلاصة أرواح الأنبياء، بل ومِنْ نور وجه الله عز وجل.

فقد جاء في كتابه «قلادة الجواهر» أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: «وحق العزيز سبحانه وتعالى: قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه قبضة فخلق منها سيدنا المصطفى محمداً ﷺ فرشحت فخلقني منها»[1].

وجاء في كتاب الروض النضير أنّ الله أمر كل نبي أن يعطي شيئاً من روحه إلى الشيخ الرفاعي، فأجاب الأنبياء ربهم إلى ذلك، وأعطى كل منهم شيئاً من روحه إلى الشيخ الرفاعي، فتكوّنت روحه من أرواحهم ومن روح جده المصطفى[2].

وبهذه الأقاويل يعطون الشيخ الرفاعي ميزة في الخلق على عامة البشر ليكون من طينة الأنبياء والأولياء الخاصة. يلحقونه بمرتبتهم ويجعلونه مشابهاً لهم في الأحوال والأقوال والأفعال والمقامات.

ومن هنا نجد الصيادي يؤكد لنا بأن جميع أحوال الشيخ أحمد الرفاعي كانت مطابقة لحال سيدنا محمد ﷺ منذ ولادته إلى وفاته. قال:

«وكان حال الشيخ الرفاعي طبق حال رسول الله ﷺ وأوصافه موافقة في كل الشؤونات لأوصاف حبيب الله. وقد جرت عليه أحكام المطابقة والاضطرارية:

---

(١) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ١٣٣، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الفجر المنير في بعض ما ورد على لسان أحمد الرفاعي الكبير ٨، ط: المطبعة العامرة ببولاق، مصر.

(٢) الروض النضير ٧٥ للشيخ عبد الرحمن بن حسين القرشي على هامش كتاب رياضة الأسماع للصيادي، ط: التمدّن، مصر.

كموت أبيه قبل أمِّه وهو حمل. وكتسميته «أحمد» وكنشأته في البطاح العربية. وكولادته في قرية حسن وإقامته بـ «أم عبيدة» بلدة جده وموته فيها وبينهما كما بين مكة والمدينة.

وكظهوره بين عرب جفاة. وكموت أولاده الذكور قبله[1] وكحصول الذرية له من بنتيه الكريمتين»[2].

الرفاعي وعقيدة ختم الولاية:

وذكر محمد أبو الهدى الصيادي أنّ النبي ﷺ ظهر على أبي منصور البطائحي ـ خال الشيخ الرفاعي ـ وبشّره أن الله سيرزق أخته بولد يأتي من بعده اسمه أحمد الرفاعي يكون رأساً في الأولياء كما أنه ﷺ رأس في الأنبياء[3].

كذلك أمر النبي ﷺ الشيخ علي الواسطي أن يعتني بالرفاعي، وأكّد له بأنه: كما هو ﷺ رأس في الأنبياء فكذلك يكون الرفاعي رأساً في الأولياء، وحذره من مغبة إهمال وصيته في الرفاعي لأن شأنه عند الله عزيز[4].

وقد ضرب الصيادي مثلاً لتفضيل الرفاعي على الأولياء، فقال: «إذا ذكر الأنبياء فحدثوا عنهم، وإذا ذكر محمد ﷺ فاسكتوا.

وإذا ذكر الأولياء فحدثوا عنهم، وإذا ذكر السيد أحمد الرفاعي فاسكتوا[5].

ثم بلغ بهم الغلو في إطراء الشيخ الرفاعي رحمه الله أن جعلوه خاتم الأولياء كما أن محمداً ﷺ خاتم النبيين، وذلك جرياً على المشابهة التي بينه وبينه. فذكر

---

(١) هناك تعارض لدى الرفاعية حول انقطاع نسبه من أولاده الذكور سأبيّنه لاحقاً.

(٢) قلادة الجواهر ١٣٣.

(٣) تنوير الأبصار ١٢ للصيادي، التاريخ الأوحد ١٠٩، الكنز المطلسم ٦٥.

(٤) قلادة الجواهر ٢٨، ٢٩، روضة الناظرين ١٢٨.

(٥) قلادة الجواهر ٣٠ ـ ٣١، التاريخ الأوحد ١٠٨.

الشيخ القرشي: أن الله قد ختم بالرفاعي الولاية كما ختم بمحمد النبوة»[1].

وعقيدة ختم الولاية فكرة صوفية أوّل مَنْ تكلم بها الحكيم الترمذي وابن عربي وغيرهما من غلاة الصوفية، ثم أخذها المتصوفة عنهم، ونسبها كل منهم لشيخه، فنسبت بعد ذلك للشيخ عبد القادر الجزائرير والتيجاني وغيرهما. وحقيقة الأمر أن خاتم الأولياء هو آخر مؤمن يبقى على هذه الأرض، وليست ولاية الله تنقطع بموت أحد هؤلاء المشايخ قبل مئات السنين من الآن، فإن كل مسلم يؤمن بالله ويتقيه فهو ولي لله تبارك وتعالى. قال تعالى: ﴿**ألاَ إنَّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾.

ولهذا، فإن المفهوم الصوفي للولاية بعيد جداً عن مفهوم الإسلام لها.

الرفاعي يخاطب أمّه وهو في بطنها:

وجاء في كتاب الروض النضير أن **الشيخ الرفاعي** كان يخاطب أمه وهو في بطنها فيقول:

«يا أماه السلام عليكم. فتقول: وعليك **السلام** يا ولدي. ما اسمك؟ فيقول: إسمي أحمد.

ولقد سألها مرة ـ وهو حمل في بطنها ـ: **ما تطلبين من الله؟**

فقالت: الرحمة.

فقال لها أسباب سبعة:

١ ـ النية الصالحة. ٢ ـ الصلوات الخمس.

٣ ـ الإحسان إلى الفقراء. ٤ ـ صفاء الضمير.

٥ ـ حفظ اللسان من **الغيبة**[2].

---

(١) إرشاد المسلمين لطريقة شيخ **المتقين** ٧ **للشيخ** أحمد الفاروثي، التاريخ الأوحد ١٠٨، قلادة الجواهر ٤٦ و ٤٣٢، المعارف **المحمدية** في الوظائف الأحمدية ٩٠ للشيخ عز الدين الصيادي. (٢) الروض النضير ١٥.

وكانت أمه تدخل على الشيخ أبي محمد الشنبكي وهي حامل به فيقوم لها إجلالاً. فلما تكرر ذلك منه سئل عنه فقال: أنا أقوم إجلالاً للجنين الذي في بطنها، فإنه أحد المقربين إلى الله عز وجل وهو من أصحاب المقامات[1].

كيفية خروجه من بطن أمّه:

قال صاحب كتاب «الروض النضير»: «ولما ولدته أمه خرج منها ويده اليمنى على صدره كما يفعل المصلي، ويده اليسرى يغطي بها عورته، وكلما رفعوا يده عن عورته أعادها ليغطي عورته.

وما أن خرج من بطن أمه حتى صار يحرك شفتيه، فأمر الشيخ منصور البطائحي بعض الحاضرين أن يقتربوا من شفتي الشيخ أحمد، فسمعوه يقول: «سبحان الذي صوَّركم فأحسنَ صوركم»[2].

ولما ولدته أمه أبى أن يرضع، وما زال على ذلك حتى أتوا له بمرضعة تقية طاهرة، فكانت تجدد وضوءها حالة إرضاعه.

ولما جاء رمضان أمسك عن الرضاع، وامتنع عن شرب الحليب نهاراً إلّا بعد الإفطار، وبقي كذلك إلى ما بعد العيد»[3].

شق الملائكة لصدر الرفاعي:

ومن قصة شق صدر النبي الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه ألّف الرفاعيون كرامة للرفاعي فذكروا عنه أنه قال لابن أخته «إبراهيم الأعزب»: «اعلم أني لما دعيت إلى هذا الأمر: حملت إلى قبلة هذا البلد، وشق صدري ملَك من

(١) قلادة الجواهر ٢٥، روضة الناظرين للوتري، ط. المطبعة الخيرية ١٣٠٦، مصر، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٦٨، ط: دار صادر - بيروت.

(٢) الروض النضير ١٧ - ١٨.

(٣) الروض النضير ١٥ و ١٩، قلادة الجواهر ٢٥، إرشاد المسلمين ٣٠.

الملائكة المقربين، فأخرج منه شيئاً مظلماً وغسله بماء الحيوان من الرياء وسوء الخلق وكل ما للشيطان فيه نصيب، كل ذلك وأنا أنظر بعيني كما فعل برسول الله ﷺ»[1].

وهذه رواية من روايات المطابقة لما حصل لسيدنا محمد ﷺ. غير أنّ المرء يتساءل: ما الغرض من حدوث مثل ذلك للرفاعي؟ أليكون معصوماً كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام؟ وأي أمر هذا الذي أخبر أنه دعي إليه أهو النبوة أم الرسالة؟

إننا نجد عبارة أخرى بين كتب الرفاعية تحدد لنا ما هو هذا الأمر الذي دعي إليه. فقد جاء في كتاب «سواد العينين» أن الله قد رفع الشيخ الرفاعي إلى مقام القطبية والغوثية، وأنه من أجل ذلك ذهب إلى قبر النبي ﷺ وتململ على عتبته وصار يقول: «العفو العفو» إلى أن أحاط به النداء من كل جانب «فاستقم كما أُمرت»[2].

صك بتحريم النار على الرفاعي وعلى كل ما تمسه يده:

ويدعي الرفاعية أن الشيخ الرفاعي كان بيده ورقة بيضاء، فنادى أحد أتباعه وقال له: يا فلان تعالَ واقرأ هذه الورقة قال: فقرأتها وهي مكتوبة بالنور.

قال الرفاعي: «رأيت في المنام رسول الله ﷺ فأعطاني هذه الورقة، وقال: يا أحمد، هذه براءتك من النار. قال: فأخذت الكتاب فقرأته وإذا فيه مكتوب: براءة ابن أبي الحسن من النار، ثم انتبهت وإذا الكتاب بيدي»[3].

ولم يقتصر الأمر عند ذلك الحد، بل ازداد ليجعل كل من مسته يد الرفاعي محرماً على النار.

---

(١) قلادة الجواهر ١٤١، الفجر المنير ٨ ـ ٩، ط: العامرة ببولاق، القاهرة.

(٢) سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين ١٥ ـ ١٧.

(٣) إرشاد المسلمين ٨٢.

فقد ذكروا أن الله وعد الرفاعي أن كل من دخل قريته أو مسّ كفه لا تأكله النار ولا تضره. وحكوا عن الرفاعي أنه أمسك مرة سمكة وأعطاها إلى أحد مريديه ليشويها له، فلم تنشو ولم تنضج وبقيت نيئة على حالها، فتعجب المريد من ذلك، فأخبره الشيخ الرفاعي أن السبب في ذلك أن الله تعالى وعده أن لا تضر النار شيئاً مسته يده[1].

الرفاعي يمرض ويجوع فداء للآخرين:

إنّ فكرة تعذيب شخص فداء عن الآخرين قديمة تبنتها العديد من الديانات والمذاهب، وهي مشتهرة عند النصارى الذين زعموا أنّ المسيح عليه السلام تألّم وتعذب من أجل الآخرين. وتعرف هذه الفكرة بمبدأ «الكفارة والفداء».

والجدير بالذكر أنّ هذه الفكرة تسربت إلى أصحاب الطريقة الرفاعية الذين جعلوا شيخهم يتحمل البلاء والمرض نيابة عن الآخرين.

فقد ذكروا أن شيخهم مرض فقال: «أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم واشتريته بما بقي من عمري فباعني». وكان يبكي ويقول: اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخلق[2].

وكان يقول لخادمه يعقوب: «ما وجد أحد من الفقراء أذى إلّا وجدت ألمه في قلبي»[3].

ورأى أحدهم حال الشيخ الرفاعي من الجوع والفقر، فقال في نفسه: «أولاد المشايخ يركبون الخيل ويلبسون الناعم، والسيد أحمد لا يركب الخيل ولا يلبس

(١) بوارق الحقائق ٢٢٩، إرشاد المسلمين ٨٧، روض الرياحين ٦٠.

(٢) إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي ١٩ للشيخ إبراهيم البرنزجي، ط: المطبعة العامرة ببولاق، مصر ١٣٠١.

(٣) قلادة الجواهر ١٤٣.

المليح ولا يشبع من الطعام. فعلم الشيخ بما خطر في نفسه وقال له: يا ولدي استغفر الله مما خطر لك، فلو لم يجع سيدك ما شبع أحد من المسلمين، ولا ركب فرساً ولا حماراً»[1].

الرفاعي يذوب ويتحول إلى ماء:

ومن أعجب ما حكي عن الشيخ الرفاعي أنه كان يذوب كالرصاص ويستحيل إلى ماء كلما جلس يتعبد الله تعالى.

فقد ذكر محمد أبو الهدى الصيادي أنه لما كان الله يتجلى على الرفاعي بالعظمة كان يذوب حتى يبقى بقعة ماء، ثم تدركه الرحمة الإلهية فيجمد شيئاً فشيئاً حتى يعود بدنه إلى ما كان عليه فيقول لأتباعه: «**ولولا لطف الله ما عدت إليكم**»[2]

وذكر الصيادي والنبهاني أيضاً أن الرفاعي خرج مع أحد مرافقيه (الشيخ سعيد) في الليل فوصلا إلى بستان، فقال له الرفاعي: **قف ههنا** حتى أرجع.

قال الشيخ سعيد: فوقفت مكاني حتى **مضى** من الليل شطره وهو لم يرجع. فمشيت على أثره لأعرف خبره، فإذا أنا **بثيابه ملقاة** على الأرض وعلى جانبه ماء، فجعلت أطوف يميناً وشمالاً فلم أجده. **فرجعت إلى** موضعي وأنا مرعوب من ذلك إذ أقبل عليّ وأنواره تشرق، فسألته عن **ذلك فقال**: يا ولدي أنا كنت ذلك الماء الذي رأيته. نظرني العزيز سبحانه بعين **اللطف** فصرت كما ترى. يا سعيد لولا أن نظرني بعين اللطف لما رجعت إليكم **أبداً**[3].

ومثل هذه الأحوال نسبوها أيضاً **إلى غير** الرفاعي، فقد ذكر الصيادي أن قوماً جاءوا إلى الشيخ منصور البطائحي ـ **خال** الشيخ الرفاعي ـ فسألوه عن المحبة،

---

(١) روضة الناظرين ٥٩.

(٢) قلادة الجواهر ٦٧، إجابة الداعي ١٤.

(٣) قلادة الجواهر ٨١، جامع كرامات الأولياء ٢/٩٩.

فسكت ثم ذاب كما يذوب الرصاص قطرة بعد قطرة وهم ينظرونه حتى صار كالماء المائع[1].

الرفاعي لا يأكل ولا يشرب:

ومما حكوه عنه من الكرامات أيضاً امتناعه عن الطعام والشراب لأيام وأسابيع وشهور، بل وربما سنوات.

فقد ذكر الصيادي أن الشيخ الرفاعي خرج إلى الحج ثم إلى المدينة. ومنذ خروجه من العراق إلى أن عاد إليها من الحج لم يأكل طعاماً قط، ولم يتناول جرعة ماء واحدة[2].

وذكر أيضاً أنّه بقي مرة نصف نهار لم يشرب ماء فوجد قدحاً على التنور وفيه ماء وسخ من غسل الأيدي، فقالت له نفسه: قد عذبتني نصف النهار بالعطش وتسقيني من هذا الماء الوسخ؟

فلما رأى منها هذا العتاب ألقى القدح من يده وأقسم أن لا يذيقها الماء سنة كاملة، وفعل ذلك[3].

وسياق القصة مأخوذ من قصة أبي يزيد البسطامي مع الماء فإنه لا اختلاف بين القصتين بتاتاً[4].

وذكروا مثل هذه الكرامات لغير الرفاعي: فالشيخ أبو رفاعة المهدي الرفاعي

---

(١) قلادة الجواهر ٢٨، روضة الناظرين ٢٢.

(٢) الكنز المطلسم في مد يد النبي لولده الغوث الرفاعي الأعظم ١٤ و ١٨ المطبعة العلمية ١٣١٣، مصر.

(٣) المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية: عز الدين الصيادي الرفاعي ٧٤، مطبعة محمد أفندي ١٣٠٥، القاهرة.

(٤) انظر الرسالة القشيرية ١٤ للشيخ أبي القاسم بن هوازن القشيري، ط: دار الكتاب العربي.

يقي أربعين يوماً متتالية لا يأكل ولا يشرب، بل ولا ينام. ومع ذلك كله لم يغب عن أداء ما افترضه الله عليه[1].

وكذلك السيد ولي الله «السكران» أبو محمد اليعقوبي الرفاعي كان كثيراً ما يمكث الستة أشهر لا يأكل طعاماً ولا يشرب ماء[2].

ولقد ضرب الشيخ عثمان بن مروزة البطائحي الرفاعي الرقم القياسي في الامتناع عن الطعام والشراب، حيث بقي بلا طعام ولا شراب سبع سنين[3].

(١) ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد ٢٢.

(٢) إرشاد المسلمين ١١٧.

(٣) جامع كرامات الأولياء ٢/١٤٢.

الفصل الثالث

قصة نسب الرفاعي إلى آل البيت

وقد نسب بعضهم الشيخ الرفاعي إلى آل بيت النبي ﷺ، وألّف الرفاعيون العديد من الرسائل والكتب لإثبات نسبته إليه ﷺ، وقد تزعم هذه الحملة محمد أبو الهدى الصيادي الذي لم يزل يذكر هذه النسبة في رسائله التي كتبها عن الرفاعي، وخصص لهذا الموضوع مؤلفات منها:

١ ـ كتاب التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد.

٢ ـ كتاب سلاسل القوم.

وقد كان يقول: «الشيخ الإمام أحمد بن علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن أحمد بن علي بن الحسن الملقب برفاعة بن المهدي بن محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه»[1].

ومع القناعة التامة بأنّ النسب لا يقدم ولا يؤخر في صلاح المرء أو فساده، فلا يجعل الرفيع وضيعاً ولا الوضيع رفيعاً، فإن مدار النجاة على الإيمان والعمل الصالح، غير أنني أجد ضرورة متابعة هذه النسبة للقناعة التامة أيضاً بأن الصوفية

(١) قلادة الجواهر ١٥ و ٢٠.

دأبوا على ربط من يعظمون من مشايخهم بآل البيت، وعلى وضع أنساب مكذوبة عليهم مثلما فعلوا في الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى حيث نسبوه إلى أهـل البيت مع أنه من قبيلة «جنكي دوست» الفارسية[1]. وهذا الاسم كما ترى أعجمي. فالشيخ عبد القادر رحمه الله فارسي الأصل بشتبري النسب[2]. وقس على ذلك.

وقد أنكر المحققون نسبة الرفاعي إلى أهل البيت، منهم بعض أهل الطريقة القادرية الذين كتبوا مصنفات ورسائل تبطل ما يدعيه الرفاعية من وجود أي صلة نسب بينه وبينهم.

ومن ذلـك كتـاب «الفتـح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين» لظهير الدين القادري الذي نقل فيه عن العلامة شمس الدين ناصر الدمشقي أنه قال:

«لم أعلم للرفاعي نسباً صحيحاً إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى أحد من ذريته الأطايب، وإنّما الذي وصل إلينا وساقه الحفاظ وصح لدينا أنه: أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي الحسن علي بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة المغربي الأصل البطائحي الرفاعي، نسبة إلى جده الأعلى رفاعة، قدم والده أبو الحسن رحمة الله عليه من بلاد المغرب فسكن البطائح»[3].

وكـذلـك نفى عالم الأنسـاب «ابن طبـاطبا» هو وتلميذه ابن معية أن تكون للرفـاعي أية صلة بأهـل البيت منكـراً أن يكـون هنـالـك أبـو القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى. ونقل الصيادي عنهما قولهما:

«وما رأينا ممن يملي النسب للحسين ذكر ولد اسمه محمد أبو القاسم».

---

(١) انظر قلادة الجواهر ٢٠ ـ ٢١.

(٢) مختصر عمدة الطالب: نقلاً عن التاريخ الأوحد ٨٥.

(٣) الفتح المبين ١٠٢، ط: المطبعة الخيرية ١٣٠٦، القاهرة.

ثم قالا: «ولم يذكر أحد من علماء النسب للحسين بن أحمد ولداً اسمه محمد، ولم يدّع السيد الرفاعي هذا النسب، وإنّما ادّعاه أولاد أولاده»[1].

وكذلك تعقب علامة العراق الشيخ محمود شكري الألوسي، دعوى النسب التي نافح عنها الصيادي مؤكداً على أنّ دعوى الانتساب إلى إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم رضي الله عنه لا أصل لها.

قال: «فقد نقل عن صاحب مختصر عمدة الطالب أن الشيخ أحمد الرفاعي لم يدّع هذا النسب، وإنّما ادّعاه البطن الثالث من ولده، ويقولون: أحمد بن علي بن الحسين المهدي بن أبي القاسم بن محمد بن الحسين بن أحمد بن موسى بن إبراهيم المذكور. قال أبو نصر البخاري: لا يصح لإبراهيم المرتضى عقب إلّا من موسى وجعفر، ومن انتسب إلى غيرهما فهو كاذب»[2].

وحتى الشيخ عبد الوهاب الشعراني الصوفي الذي لم يزل يذكر الرفاعي ومناقبه وأحواله، فإنه لم يذكر هذا النسب، وإنما أورد عبارة توحي بالشك في صحة النسبة إلى أهل البيت، فإنه قال: أحمد بن أبي الحسين الرفاعي رضي الله تعالى عنه منسوب إلى رفاعة قبيلة من العرب[3].

وبالطبع لم ترض هذه العبارة الرفاعية فأبدى الصياحي تأسفه على كلمة (منسوب) التي وردت في كلام الشعراني حتى قال: «وقد عاتبه بذلك الشيخ أحمد القليوبي في تحفة الراغب على ذلك فقال: فما أدري من أين أتى الشيخ رحمه الله بهذه النسبة»[4].

---

(١) التاريخ الأوحد ٤٦ ـ ٥٠.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٢٢٣ـ٢٢٤.

(٣) طبقات الشعراني ١/١٤٠.

(٤) التاريخ الأوحد ٢٩، قلادة الجواهر ٢٢.

ثم إنّ عامة المؤرخين أصحاب الطبقات ترجموا للرفاعي ولم يتطرق واحد منهم إلى ذِكر نسبته إلى أهل البيت.

فالسبكي ترجم للرفاعي في طبقاته، ولم يذكر هذه النسبة. فإنه قال: «الشيخ الزاهد الكبير أحد أولياء الله العارفين والسادات المشمرين، أهل الكرامات الباهرة أبو العباس بن أبي الحسن الرفاعي المغربي، قدم أبوه إلى العراق...»[1] انتهى.

وكذلك الأمر بالنسبة لعامة المؤرخين كالذهبي وابن كثير وابن العماد وابن الأثير وابن خلكان، فإنهم ترجموا للرفاعي ولم يذكروا له نسبة إلى أهل البيت.

مع أن من عادتهم أنهم إذا ترجموا لرجل من أهل البيت ولم يفصلوا ذكر نسبه أن يضيفوا على الأقل ما يدل على نسبته إليهم مثل أن يستعملوا عبارة: «الحسيني» أو «الحسني» أو «العلوي» مع اسمه.

مثال ذلك قال الذهبي: «الإمام القدوة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الهاشمي العلوي الحسيني»[2].

بينما نجده يقول في ترجمته للرفاعي: «أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي، قدم أبوه من المغرب وسكن البطائح»[3].

وقد علّل الصيادي غفلة المؤرخين عن ذكر نسبة الرفاعي إلى أهل البيت بأن عامتهم يعنون بالوقائع التاريخية لا على أنساب الرجال وفضائلهم. وأنكر بالتالي عليهم لإطالتهم ترجمة الكثيرين من الظلمة وأهل الدنيا المحجوبين وعدم تعرضهم لأعالي مقامات المشايخ ولا إلى أنسابهم[4].

---

(١) طبقات السبكي ٤/٤٠، ط: دار المعرفة.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/١٠٤. (٣) سير أعلام النبلاء ٢١/٧٧-٧٨.

(٤) قلادة الجواهر ٢٢.

وما قاله غير صحيح، فإن عامة المؤرخين ذكروا نسب الشيخ الرفاعي كابن خلكان وابن الأثير وابن العماد وابن كثير والذهبي وابن الوردي والصفدي[1].

غير أن السبب الحقيقي لنقمة الصيادي عليهم أنهم لم يذكروا نسبة الرفاعي إلى أهل البيت، وهم محقون في عدم ذكر ذلك لعدة أسباب:

أولاً: لأنه لا يوجد ما يؤكد صحة هذا النسب.

ثانياً: إذا كان مؤرخاً صوفياً كالشعراني يبدي الشك في نسبة الرفاعي إلى أهل البيت مع تعظيمه له، فلماذا يلام غيره على عدم إثباته هذه النسبة ما دام أنها مشكوك بها عند الصوفية قبل غيرهم.

ثالثاً: أن ما يذكره المؤرخ إنما يجب أن يكون موثوقاً به لا شك فيه، وليس بوسع المؤرخ الثقة أن يعتمد الأقاويل والشائعات، ويجمع المعلومات جمع حاطب ليل، ولذا فإن عدم ذكر هؤلاء هذه النسبة إنما يدل على أصالتهم وأنهم كانوا يتوثقون مما يدونونه في كتبهم. فهذا مما يبعث على الثقة بهم.

وليس الاختلاف حول نسبة الرفاعي إلى أهل البيت فحسب، وإنما الاختلاف أيضاً حول حصول العقب منه.

فالعلامة شمس الدين ناصر الدمشقي يقول:

«إنّ الرفاعي لم يبلغنا أنه أعقب كما جزم غير واحد من الأئمة المرضية»[2]

وعامة المؤرخين قد ذكروا بأن الشيخ لم يعقب وإنما العقب من أخيه[3].

---

(١) انظر البداية والنهاية ٣١٢/١٢، الوافي للصفدي ٢١٩/٧، شذرات الذهب لابن العماد ٢٥٩/٤، الكامل في التاريخ ٤٩٢/١١ لابن الأثير، تاريخ ابن الوردي ١٤٠/٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٢/١، سير أعلام النبلاء ٧٧/٢١.

(٢) الفتح المبين ١٠٥.

(٣) البداية والنهاية ٣١٢/١٢، شذرات الذهب ٢٥٩/٤، الأعلام للزركلي ١٧٤/١، تاريخ ابن الوردي ١٤٠/٢.

غير أن صاحب كتاب النجوم الزواهر يذكر أن الشيخ الرفاعي تزوج الصالحة الزاهدة «رابعة» أخت زوجته الأولى، وأعقبها السيد قطب الدين، وأن هذا الأخير تزوج في حياة أبيه وأنجب ولداً سمّاه «منصوراً»[1].

وعلى العكس من ذلك فالصيادي يذكر أن قطب الدين توفي في حياة أبيه ولم يكن قد تزوج حينئذ، ودفن في قبة جده يحيى النجار، وأن من تؤول نسبتهم إلى الرفاعي إنما هم من بنتيه زينب وفاطمة»[2].

كيف يثبت الرفاعيون نسبة شيخهم إلى آل البيت:

وبما أن الدليل الذي قدمه الصيادي وغيره لإثبات نسبة الشيخ الرفاعي إلى آل البيت لم يكن كافياً: راحوا يستعيضون عن ذلك بالرؤى والحكايات المنامية.

فقد ذكر الصيادي في كتابه المعارف المحمدية أن الشيخ أبا الفضل الواسطي كان ينكر نسبة الرفاعي إلى السلالة النبوية، وأنه رجع عن ذلك بسبب رؤيا منامية لا تميل النفس إلى تصديقها، وفيها أنه رأى أن القيامة قد قامت، واللواء على رأس محمد ﷺ وفاطمة بين يديه، والرفاعي عين يمينها.

قال الواسطي: «وأنا على خوف عظيم، فدنوت من السيدة فاطمة واستنجدتها فأعرضت عني وقالت للشيخ الرفاعي: يا ولدي أحمد ما أعجب حال هذا الرجل، ينكر نسبك إليّ ويستنجدني؟ والله لا نجدة له عندي إلّا بواسطتك. فقال لي الرفاعي: أمّي هذه أدرى بأولادها منك. فقالت السيدة فاطمة: الأدب الأدب مع السيد أحمد فإنه قطعة من كبدي»[3].

الدليل الآخر عندهم على ثبوت النسب: أنّ الرفاعي والجيلاني قالا ذلك

---

(١) النجوم الزواهر ٩١.

(٢) قلادة الجواهر ١٣٣ و ٣٢١ و ٣٢٣.

(٣) سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين ٥.

والتأدب معهما يوجب تصديقهما من غير تردد ولا تثبت. فإن عدم تصديق ما قالوه من أنهم ينتسبون إلى أهل البيت قلة أدب في حقهم. والصحيح أنهما لم يثبت عنهما قول ذلك.

قال محمد أبو الهدى الصيادي:

«وقال رجل موصلي لشيخنا الشيخ عبد الرحمن جمال الدين الحدادي: يا سيدي إنّي رأيت بعضاً من كتب التاريخ سكت عن نسبة الشيخ عبد القادر الجيلاني وسكت عن نسبة السيد أحمد الرفاعي مع أنه عربي الأصل وأشهر منه بالسيادة، وقد قال بعض علماء فارس أن الشيخ عبد القادر (بشتبري» النسب وهكذا يقول بعض أهل بيته. فقال شيخنا قدس الله سره: أكفف يا ولدي عن الخوض واعلم أن من كتب التاريخ سكت عن نسبة الاثنين، إلّا أن بعض الصوفية ذكر نسبة الشيخ عبد القادر حرصاً عليه لكيلا يطعن في نسبه من لا علم له لما اشتهر أنه من العجم ولما قيل فيه من أنه «بشتبري» النسب، والأصل الصحيح إنما هو رجل فاطمي لا ريب في نسبته إلى الجد الأعظم ﷺ سكن أجداده فارس إلى زمانه.. وهذا ما يجب علينا اعتقاده، فإن الأولياء أعلم منا بالأدب الديني والواجب الشرعي، ولو لم تكن نسبته ثابتة الوصول إلى الرسول لما ادعاها قط. وأما ما ذكرته من شهرة السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه بالسيادة وكونه عربي الأصل والمنشأ فهو السبب الذي اعتمد عليه الصوفية وسكت عن ذكر سلسلة نسبه»[1].

فهذا النص يبين أن من أهم أدلة الرفاعية على نسبة شيخهم إلى أهل البيت كونه عربي الأصل. وهذا ليس بكافٍ وإلّا لجاز لكل عربي أن يسيغ لنفسه إلحاق نسبه ببيت النبوّة لمجرد عروبته.

الدليل الثاني حسب النص أن الرفاعي ادّعى هذه النسبة. وهذا ما اتفق المؤرخون على خلافه، فإنهم ذكروا أن الرفاعي لم يدّع هذا النسب وإنّما ادّعاه البطن الثالث من أولاده.

(١) قلادة الجواهر ٢٠، جمهرة الأولياء ٢/٢٠٦ لأبي الفيض المنوفي.

الفصل الرابع

قصة مد يد النبي من خارج قبره

ومما يستدل به الرفاعية على صحة نسب الرفاعي إلى رسول الله ﷺ قصة مد النبي ﷺ يده إلى الرفاعي وتفصيلها: أن الله ناداه: قم يا أحمد وزر بيت الله الحرام وزر النبي عليه السلام، فقال الرفاعي لربه: سمعاً وطاعة.

فسافر ومعه جم غفير إلى مكة ثم المدينة، ووقف عند القبر وقال: السلام عليك يا جدي، فقال له النبي عليه السلام: وعليك السلام يا ولدي: فتواجد الرفاعي وقال:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فانشق التابوت ومد النبي يده إلى الرفاعي ليقبلها أمام جمع كبير من الناس يزيدون على التسعين ألفاً، وكان من بينهم عبد القادر الجيلاني وعدي بن مسافر وحيوة بن قيس الحراني[1].

---

(١) قلادة الجواهر ١٥ و ٢٠ و ١٠٨، حكم الرفاعي ٥، المعارف المحمدية ٣٤ و ٥٩، تنوير الأبصار ٦، ذخيرة المعاد في سيرة بني صياد ٣٣، الكنز المطلسم ٥، الكليات الأحمدية ٢٠١، العقود الجوهرية ٦، ضوء الشمس في قول النبي بني الإسلام على خمس ١/١٧٤، الغارة الإلهية ٥٦، نور الأنصاف ١٤، التاريخ الأوحد ٥٩، إرشاد المسلمين ٣٤، سواد العينين ١٠، ترياق المحبين ١٢، إجابة الداعي ١٨، وللصيادي كتاب خاص في هذه =

واعتبروها حادثة متواترة[1] لا ينكرها إلّا ضال أو منافق، كما صرح الصيادي بذلك قائلاً: «فخروج يد النبي ﷺ لسيدي أحمد بن الرفاعي ممكن ولا يشك فيه إلّا ذو زيغ وضلالة، أو منافق طبع الله على قلبه، وإنكارها يؤدي إلى سوء الخاتمة[2].

التعقيب على هذه القصة:

إن مجرد تهديد منكر هذه القصة بكفره وسوء خاتمته إنما كان بسبب ضعف الدليل الذي يمكن أن يقدمه الرفاعية لإثباتها، وإلّا فالقصة من أساسها لا تثبت، والأدلة على عدم ثبوتها كالآتي:

١ ـ أنّ أصحاب كتب وتراجم الصوفية الأوائل كالسبكي والشعراني وابن الملقن والمناوي لم يتعرضوا لذكر هذه الحادثة مع أنهم كانوا أقرب إلى عصر الرفاعي من المتأخرين كالصيادي، وليس من المعقول أن يحرصوا على جمع كل ما روي عنه فيروون قصة الجرادة والبعوضة ويهملون هذه الحادثة التي اهتزت لها بقاع الأرض على حد تعبير الصيادي.

٢ ـ أن المؤرخين ـ غير المتصوفة ـ كالذهبي وابن كثير وابن خلكان لم يتعرضوا لذكر هذه الحادثة إطلاقاً، ولو أنها وقعت حقيقة لتسابقوا إلى كتابتها.

وقد ذكروا ما اشتهر به الرفاعيون من دخول النيران واللعب بالحيات وركوب السباع غير أنهم لم يتطرقوا إلى ذكر هذه الحادثة، الأمر الذي يبعث على الجزم بأن حبكها كان متأخراً عنهم.

=ـ الحادثة، وللصيادي كتاب خاص في هذه الحادثة اسمه: الفخر المخلد في منقبة اليد ١٠ ـ ١١.

(١) قلادة الجواهر ١٠٤.

(٢) قلادة الجواهر ١٥ و١٠٨، ضوء الشمس ١٧٥.

٣ ـ أن رواة هذه الحادثة هم «الصوفية» الذين شهد الرفاعي نفسه بأنهم يكذبون على مشايخهم وأئمتهم، حيث قال: «واحذر الفرقة التي دأبها التفكه بحكايات الأكابر وما ينسب إليهم فإن أكثر ذلك مكذوب عليهم»، وقال: «يا بني إذا نظرت في القوم الذين ادعوا التصوف وجدت أن أكثرهم من الزنادقة الحرورية والمبتدعة»[1].

(١) الكليات الأحمدية ١٢٢ ـ ١٢٣ و ١٥٦، حالة أهل الحقيقة مع الله ١٠٥.

الكتاب الثاني

كرامات الرّفاعية

الفصل الأول

التصرف في الأكوان

التصرف في الكون عند كثر من المتصوّفة ومنهم الرفاعية أشبه ما يكون بالتفويض الإلهي للولي لفعل ما يريد في الكون والاتصاف بصفات الله مطلقاً.

نقلوا عن الرفاعي أنه قال: «والولي إذا أصلح سره مع الله تعالى: كلفه ما بين السماء والأرض، ثم لا يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق تعالى، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلّا بنظره»[1].

بل قالوا:

«ثم لا تزال ترتفع همته وترتقي رتبته عند الله، حتى تصير همته خارقة للسموات السبع، وتصير الأرضون السبع كالخلخال برجله، ويصير صفة من صفات الحق جل وعلا لا يعجزه شيء»[2].

---

(١) الفجر المنير ٢٠، قلادة الجواهر ١٤٧ ـ ١٤٨، طبقات الشعراني ١/١٤٣.

(٢) الفجر المنير ١٩، طبقات الشعراني ١/١٤٢.

وقد جعل الرفاعيون هذه المرتبة للشيخ الرفاعي، فذكروا أنه كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السموات، ثم صارت السموات السبع في رجله كالخلخال[1].

من حكاياتهم عنه أنه وقف مرة على شاطىء النهر وقال لأتباعه: «أعطاني الله التصرف في الأشياء كلها، ثم قال: سيري يا سفن وقف يا ماء، فأوقف حركة الماء حتى صار جماداً، ومع ذلك أمر السفن بمتابعة المسير فسارت. ثم بدل الطبيعة الكونية مرة أخرى فأمر الماء أن يسير وأن تتوقف السفن فقال: سر يا ماء وقفي يا سفن. فسار الماء وجمدت السفن»[2].

وأنه أصدر أمراً إلى شجرة بالمجيء إليه بينها وبينه نهر الفرات، وأقسم عليها بذلك قائلاً: «أقسم عليك بالعزيز سبحانه إلاّ ما أجبتِ دعوتي وأتيتيني طائعة، فانشقّت الأرض، وانفلق البحر، وأتت الشجرة طائعة ناطقة بلسان عربي فصيح تقول: أشهد أن لا إله إجلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وأشهد أنك شيخ الشيوخ على الإطلاق وشيخ أهل الأرض والسماء»[3].

ومن التصرفات في الطبيعة الكونية ما يروى عنه من أنه:

كان يصلي الصبح في مكة.
والظهر في المدينة.
والعصر في بيت المقدس.
والمغرب في بعلبك.
والعشاء في جبل «قاف»[4].

---

(١) ترياق المحبين ٩، لطائف المنن ٤٩١، قلادة الجواهر ٤٢ و١٤٧، التاريخ الأوحد ١٠٧.

(٢) إرشاد المسلمين ١٥.

(٣) قلادة الجواهر ٩٢.

(٤) قلادة الجواهر ١٠٣.

مع أننا نجد في كتب الرفاعية ما يفيد إدانة الرفاعي نفسه لهذا التصريف الذي يدعيه الرفاعيون لمشايخهم، فقد جاء في كتاب الكليات الأحمدية أن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله قال: «قال بعض صوفية خراسان أن روحانية ابن شهريار تتصرف في ترتيب جموع الصوفية: ذلك لم يكن إلّا لله الوهاب الفعّال. إنّ تصرف الروح لا يصح لمخلوق»[1].

(١) الكليات الأحمدية ١١٧.

الفصل الثاني

العروج إلى السماء ومحو الأقدار

يروون أن الرفاعي قال: «أيها الفقراء: الشيخ عثمان السالم أبادي قدس الله سرّه يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية، وينظر ديوان ذريته: فما يجد من سيئة يمحوها ويكتب «عوضها» بلا معارضة. ثم التفت إلى ابن أخته ـ إبراهيم الأعزب ـ وقال له: يا إبارهيم لا يكون الرجل ممكناً في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء»[1].

قال: وأما سيدي حمزة قدّس الله سرّه فرجلٌ عظيم المنقبة، عليُّ المنرتبة، من كان له حاجة فليقصده يوم الأربعاء، فإنه يحضر ديوان الربوبية، ويقضي الحوائج[2].

وأمّا سيدي الشيخ منصور قدّس الله سره، فإنه لم يزل في السماء مثل الدلو في حوض البئر، له صعود ونزول، يقضي حوائج الناس وحوائج ذريته وأصحابه إلى يوم القيامة»[3]. يتابع الرفاعي فيقول:

---

(١) قلادة الجواهر ١٩٣.

(٢) قلادة الجواهر ١٩٩.

(٣) قلادة الجواهر ١٩٩.

«سيدي منصور صاحب طريق عجيب وسر غريب، لأنه كان يقول في أكثر أوقاته: قال لي العزيز سبحانه كذا وقلت للعزيز سبحانه كذا وقال لي ربي وقلت لربي»[1].

ولقد رووا عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه كان يقول: «كل شيخ لا يغير صفات تلميذه ويكتب الشقي سعيداً فما هو عندنا برجل»[2].

ورووا أنه دخل على الشيخ الرفاعي رجل مكتوب على جبهته سطر الشقاوة فمحاه[3].

---

(١) الفجر المنير ٢٠، قلادة الجواهر ١٨١ ـ ١٨٢، روضة الناظرين ٢٠، وينسب مثل هذا إلى مشايخ آخرين غير الرفاعية. انظر جامع كرامات الأولياء ١/١٦٣، طبقات الأولياء للشعراني ٢/١٠٤.

(٢) قلادة الجواهر ٩٤.

(٣) قلادة الجواهر ١٠٣ ـ ١٠٤، طبقات الأولياء لابن الملقن ٩٨، ط: الخانجي ١٩٧٣، القاهرة.

الفصل الثالث

علم الغيب المطلق

رووا عن الرفاعي قوله: «فالقلب إذا صلح صار **مهبط الوحي والأسرار** والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين»[1].

وقوله: إذا أراد الله أن يتخذ ولياً أنعم عليه بأربع:

١ ـ الكفاية.
٢ ـ الحماية.
٣ ـ الرعاية.
٤ ـ الهداية.

فإذا تحققت هذه الأربع أكرمه بأربع أيضاً:

١ ـ يقرأ ما على الجباه.
٢ ـ ويصافح الملائكة ويصافحونه.
٣ ـ ويكلم الموتى ويكلمونه.
٤ ـ ويدخل القبور فيعرف المنعَّم من المعذب[2].

---

(١) الفجر المنير ١٨، قلادة الجواهر ١٤٦، طبقات الشعراني ١/ ١٤٢.

(٢) قلادة الجواهر ١٦٧، الفجر المنير ٥١.

ولما ذكر الرفاعي أنه صحب ثلاثمائة ألف أمة وأنه كان يعرف كلامهم وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم، تعجب خادمه يعقوب فقال له الشيخ: «وأزيدك أيضاً أنه لا تستقر نطفة في فرج أنثى إلّا ينظر الولي إليها ويعلم بها».

فقال يعقوب: يا سيدي هذه صفات الرب جل وعلا!!

فقال الشيخ: يا يعقوب، إستغفر الله تعالى[1] فإن الله إذا أحب عبداً صرفه في جميع مملكته، وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب، وإذا كان الحق تعالى مع عبده كما يريد، صار كأنه صفة من صفاته»[2].

وقد ذكروا أنّ مغنياً كان يغني الصوفية، فتواجدوا وطربوا، وكان بينهم أحمد الرفاعي صغيراً، فخسف أحمد الدف، فأنكروا عليه فقال لهم: «اسألوه عما خطر بباله. فاعترف المغني أنه لما رآهم على هذه الحالة من التمايل تذكّر أنه كان البارحة مع قوم فشربوا الخمرَ حتى تمايلوا كتمايل المشايخ الصوفية، فخطر في باله أن هؤلاء كأولئك»[3].

---

(١) وفي قلادة الجواهر ١٤٣، وروضة الناظرين ٥٩ «مما خطر في قلبك».

(٢) قلادة الجواهر ٦٨، لطائف المنن والأخلاق ٤٧٠ - ٤٧١.

(٣) روض الرياحين لليافعي ٤٣٧، ط: الحلبي ١٩٥٥م، مصر، جامع كرامات الأولياء ٢٩٧/١، ط: دار صادر، روضة الناظرين للوتري ١٨، الكواكب الدرية للمناوي ٢١٢.

الفصل الرابع

تحذير الرفاعي أتباعه من الكذب والابتداع

خشي الرفاعي رحمه الله أن ينسب إليه مثل ما كان ينسب إلى الأئمة من قبله، فنُقِلَ عنه:

«لا تسبوني من بعدي، فيقولون: كيف نسبك وأنت إمامنا وقدوتنا؟.

قال: تقولون عليّ قولاً لم أقُلْه، وتفعلون أمراً لم أفعله، فيراكم الناس ويسمعونكم، فيقولون: لولا أنهم رأوا شيخهم، ولولا أنهم سمعوا شيخهم ما قالوا ولا فعلوا»[1].

وقد وقع ما كان يحذره، وبولغ في إطرائه حتّى جُعل غوث أهل الأرض والسماء، وصارت السموات السبع والأرضون السبع في رجله كالخلخال، وصار كعبة القاصدين، وحيكت حوله أكاذيب من مولده إلى موته.

تحذيره من كذب الصوفية على أئمتهم:

والذين غلوا في الرفاعي هم أنفسهم الذين رووا عنه أنه كان ينهى عن الغلو والشطح وما شابههما ويقول بأنهما: «زندقة بشكل تصوف».

---

(١) الفجر المنير ٧٠، قلادة الجواهر ١٧٨، حالة أهل الحقيقة مع الله ٤، تحقيق صلاح عزام، ط: مطبعة الشعب، القاهرة. وانظر البرهان المؤيد، تحقيق صلاح عزام، ط: الشعب أيضاً.

يقول الرفاعي: «وإننا ما رأينا من عواقب أهل الغلو إلّا أنهم ضلوا وأضلّوا، وما رأينا من عواقب التشرع ـ يعني الاستقامة على الشريعة وملازمة السنة ـ إلّا السلامة»[1].

وكان يحذر أتباعه من أن ينساقوا وراء حكايات المتصوفة وأكاذيبهم التي نسبوها إلى مشايخهم كما أسلفت ذلك عنه حيث قال:

«واحذر الفرقة التي دأبها التفكه بحكايات الأكابر وما ينسب إليهم فإن أكثر ذلك مكذوب عليهم»[2].

وفي موضع آخر نجده يكشف الستار عن حقيقة ما يكمن وراء دعاوى الوجد والتخشع والتزهد والتصفية التي يدعيها المتصوفة فيقول لأحد تلاميذه:

«يا بني، إذا نظرت في القوم الذين ادعوا التصوف اليوم وجدت أن أكثرهم من الزنادقة الحرورية والمبتدعة، ورأيتهم أكثر الناس جهلاً وحمقاً، وأشدهم مكراً وخديعة، وأعظمهم عجباً وتطاولاً، وأسوأهم ظناً بأهل الزهد والتقوى»[3].

بل نراه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حين نجده يؤكد اشتقاق التصوف من أحد زهاد الجاهلية في قريش قبل الإسلام، واسمه: «الغوث بن مرة بن أد بن طابخة الربط»[4].

وكان رحمه الله يعيب على الصوفية موقفهم من الفقهاء وتذمرهم من إنكارهم الدائم عليهم قائلاً:

---

(١) المعارف المحمدية ٤٢.

(٢) الكليات الأحمدية ١٢٢ ـ ١٢٣، ط: مطبعة الواعظ، مصر. جمع محمد أبي الهدى الصيادي.

(٣) حالة أهل الحقيقة مع الله ١٠٥، الكليات الأحمدية ١٥٦.

(٤) البرهان المؤيد ١٤.

«قـل يا أخي للمسـاكين المحجوبين من الصوفية: ما تريدون أن يوجد في قطركم هذا رجل عالم يدفع شبه الملحدين وأهل البدع والزيغ بالحجج الظاهرة»[1].

ويستفاد من هذا النهي عن انتهاج منهج الصوفية المتسم بالغلو ما يلي:

أولاً: اعترافه بمادة الغلو التي عرفت عند الصوفية.

ثانياً: اعترافه بكثرة كذبهم على مشايخهم وأئمتهم.

ثالثاً: اعترافه بأن أكثرهم من الزنادقة المبتدعة الذين يتسترون بالزهد والتذلل والانكسار ويبطنون العجب والتطاول على حد قوله.

رابعاً: اعترافه بكثرة إنكار الفقهاء عليهم، وليس ذلك إلّا لسهولة انتشار البدع والمخالفات الشرعية بينهم.

وموقف الشيخ رحمه الله من البدعة لا يتفق وموقف أتباعه منها، ويتجلى ذلك في قوله:

«لـو عبد العابد ربه خمسمائة عام بطريقة غير شرعية، فعبادته راجعة إليه، ووزره عليه، ولا يقيم الله له يوم القيامة وزناً، وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه»[2].

وقوله: «إياكم ومحدثات الأمور»، قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». أطلبوا الله بمتابعة رسول الله ﷺ، «وإياكم وسلوك طريق الهدى بالنفس والهوى، فمن سلك الطريق بنفسه ضل في أول قدم».

وقوله: «ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلّا سلّط الله عليهم العدو.

---

(١) المعارف المحمدية ٧٩، البرهان المؤيد ٩١ ـ ٩٢.

(٢) كتاب البرهان المؤيد ٤ وكتاب أهل الحقيقة مع الله ٤. وكلا الكتابين لهما القبول عند سائر الرفاعية ويعترفون بصحة نسبتهما إليه.

وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها إلّا ورزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم»[1].

ولكن، هل يوافق الرفاعيون شيخهم بأن كل بدعة ضلالة؟ وهل يتابعون الرسول ﷺ في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم؟

لقد كثر الزغل بينهم كما يقول الذهبي رحمه الله، وانتشرت بينهم البدع وعمل المخاريق، كما أن عامة المتصوفة يجيزون البدعة الحسنة، ويتعبدون الله بها وإلّا فما مصدر الخلوة المحرمية والأحزاب، والأوراد التي لا تجد شيئاً منها في صحيح الأذكار النبوية؟

لقد أُشرب غلاة التصوف حب البدعة والدفاع عنها حتى قال قائل منهم: «كل ما ابتدع على طريق القربة إلى الله تعالى فهو من الشريعة والسنة الظاهرة»[2].

إن هذا هو الانحطاط الذي جعل التصوف محط أنظار أعداء الإسلام كالباطنية وغيرهم يبثون فيه ما يشاؤون من سمومهم ليجعلوا أهل السنة ينتمون إلى السنة إسماً فقط مع كونهم يتبنون في الحقيقة كثيراً من مبادىء مخالفة للسنة كالقول بالعلم الباطن واستمداد العلوم والبيعات من سلسلة المشايخ الأموات وهو عين مبدأ التلقي من المعصوم عند الباطنية، والموالد والأضرحة، ولا ننسى تعمد الفاطميين ملء مساجد أهل السنة بالأضرحة أثناء فترة حكمهم في مصر والشام وغيرها، وكذلك الأحزاب والأوراد التي تتضمن الشرك وسجع العرافين، والسماع الذي لا يضاهيهم فيه إلّا الرافضة.

---

(١) الفجر المنير ٢١، البرهان المؤيد ٣ و ٢٠ و ١٠ ـ ١١ و ٥٧ و ٦٥، والمعارف المحمدية ١٣، قلادة الجواهر ٢٢٠، إرشاد المسلمين ٤١ و ٦٢، الكليات الأحمدية ٧٧ ـ ٧٨، ترياق المحبين ١٠.

(٢) الأنوار القدسية للشعراني ١/١٢٣ على هامش الطبقات.

ولو قفل باب البدعة لاستعصى الأمر على هؤلاء الأعداء وسد في وجوههم هذا البـاب وحصّن المسلمون دينهم، وطهروا مجتمعهم من أمراض البدع المختلفة التي تعاني منها الأمة والتي توقعهم في سخط الله بسبب تبديل السنن باستحداث البدع، فإن البد " أحب إلى إبليس من المعصية لأنها تخل بالتشريع الإلهي، أمّا المعظية فلا تخل إلّا بصاحبها [ويؤمل توبته منها لمعرفته أنها معصية، بينما يتقرب صاحب البـدعـة إلى الله بها ظنّاً منه أنها طاعة. وللمعصية دوافعها الطبيعية من الشهوات الطاغية، وليس للبدعة دافع غير اتباع الشيطان].

الفصل الخامس

كرامات منتحلة

لقد ثبت لي من خلال متابعتي للكرامات المذكورة عن الشيخ الرفاعي أنه تم اقتباس العديد منها من كرامات السابقين المروية في كتب التصوف المتقدمة رغم تحذير الرفاعي أتباعه من الكذب والابتداع:

١ ـ قصة دعوة الرفاعي والتي قال فيها: «أتستكثر عليّ خصلة من خصائل الكلب» والتي ذكرها الصيادي[١] منسوبة إلى أبي ثَمان الحيري كما في الرسالة القشيرية للقشيري، وإحياء علوم الدين للغزالي وكلاهما ماتا قبل مولد الرفاعي[٢].

٢ ـ قصة الأسد الذي أكل الشاب وفيها أن الرفاعي قال له: «ألم أقل لكم لا تتعرضوا لضيوفنا». ذكرها الصيادي منسوبة إلى الرفاعي[٣] والعبارة في الحقيقة مذكورة في الرسالة القشيرية ومنسوبة إلى إبراهيم الدقي[٤].

٣ ـ قصة الأستاذ الذي أعطى كل تلميذ من تلاميذه عصفوراً وأمر أن يذبح كل منهم عصفوره على حِدة بحيث لا يراهم أحد ففعل كل منهم ذلك إلّا الرفاعي فإنه جاء ولم يذبح العصفور، فقال له الأستاذ: لِمَ لم تذبح العصفور؟

---

(١) المعارف المحمدية ٧٤، قلادة الجواهر ٥٤.

(٢) الرسالة القشيرية ١٠٨، إحياء علوم الدين ٣/٧١، ٤/٣٥٨.

(٣) قلادة الجواهر ٩١.

(٤) الرسالة القشيرية ١٦٣.

قال الرفاعي: «يا سيدي شرطتم عليَّ خلو المكان، وكل موضع ذهبت إليه رأيته مشغولاً بالله..»[1]. هذه القصة بتفاصيلها موجودة في الرسالة القشيرية[2] منسوبة إلى شيخ لم يذكر اسمه لكنها بالطبع لغير الرفاعي لأن القشيري كتب رسالته قبل أن يولد الرفاعي بعشرات السنين.

ولقد روى الرفاعية من تواضع الرفاعي الشيء الكثير وأنه لم يكن يرى لنفسه مقاماً ولا رتبة ولا مشيخة[3] حتى أنه كان يحلف بالله أن يحشره مع فرعون وهامان إن كان خطر بباله يوماً أنه شيخ على أحد من الناس[4].

ويقول: «ما مثلي إلاّ كمثل ناموسة على الحائط لا قدر لها»[5].

إن هذا التواضع الذي يحكيه الرفاعية عن شيخهم لا يتفق مع ما نسبوه إليه من ادعاء الخفض والرفع والعطاء والمنع، وكون الأرض في قبضته والدهر طائع لأمره إلى غير ذلك مثل زعمهم قوله[6]:

أنا الكعبة الغرا أنا البيت والحما ... أنا المسجد الأقصى لمن جاء بالذكر
أنا الدولة العظمى أنا السطوة التي ... تذل لها الأشياخ في البر والبحر
وكل رجال الله طافوا بحضرتي ... ونالوا المدادات العظيمة من ذكري
فإن عُدّت الأقطاب أُدعى كبيرهم ... وإن عُدّت الأشياخ في بدئهم ذكري
وطاعت لي الحيات والأُسد في الفلا ... وباسميَ يلقى زمهرير على الجمر
أنا أحمد الغوث الرفاعي وبصرتي ... محط رحال القوم في مدة العمر

وزعمهم قوله[7]:

(١) قلادة الجواهر ٤١.
(٢) الرسالة القشيرية ٨٨.
(٣) التاريخ الأوحد ١٠٦، قلادة الجواهر ٣٦.
(٤) البرهان المؤيد ١٧، الفجر المنير ٥٠ ـ ٥١.
(٥) البرهان المؤيد ٤٤.
(٦) قلادة الجواهر ٢٢٦.
(٧) قلادة الجواهر ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

أنـا الرفاعي طبولي في السما ضربت والأرض في قبـضـتـي والأوليا خدمي
فالجـأ بأعتـاب عزي والتمس مددي وطف ببـابي وقف مستمـطراً نعمي

وزعمهم قوله[1]:

أنـا الـرفـاعي ملاذ الخـافقين فلذ ببـاب جودي لتـسقى الخير من ديم
إذا دعـاني مريدي وهـو في لجـج من البحـار نجـا من حالـة العـدم
هلال سلطان عزي للوجـود بدا وحـالـتـي انفـردت من جملة الأمم
فلو ذكـرت بأرض لا نبـات لهـا لأقـبلت بصنـوف الـخير والـنعم
ولـو ذكـرت بنـار قط ما لهـبـت ولـو ذكـرت ببحـر غار من عظمي
ولـو دعـوت لمـيت قام لي ومـشى بإذن ربيَ يسـعـى لي على الـقـدم
ونـوبتي ضربت في الأرض واشتهرت ودولتي حكمت في العـرب والعجم

بعد هذا نخلص إلى نتيجة عامة وهي أنّ سيرة الرفاعي كغيره من أئمة التصوف في كتب وتـراجم الصوفية متناقضة وشخصياتهم مضطربة لا يمكن التعرف على حقيقة شخصياتهم من خلال كتب التصوف المليئة بالمبالغة. إنّ الصوفية إذا أرادوا تعريف الناس بتواضع مشايخهم وتواضعهم صوروهم للناس على غاية من الضعف والمـذلـة، وإذا أرادوا إثبـات كراماتهم وقدراتهم وصفوهم بما يوصف الله به من التصرف في عوالم الكون العلوية والسفلية وكشف خفايا الضمائر والصدور وتغيير المقدور إلخ . . .

(١) قلادة الجواهر ٢٣٦.

الكتاب الثالث

غلوّ الرفاعية

الفصل الأول

نماذج من غلو الرفاعية في شيخهم

قالوا عن الرفاعي أنه:

«كعبة القاصدين وقبلة أهل الحال»[1].

وأنه «كما أن الكعبة قبلة المصلين، وكما أن العرش قبلة أصحاب الهمم، فكذلك الشيخ قبلة المريدين[2].

فالعرش قبلة الهمم، والكعبة قبلة الجباه، وأحمد قبلة القلوب»[3].

وهم بذلك جعلوا للمسلم أكثر من قبلة وجعلوا أخصها: أحمد (القبلة)، إذ القلوب تتجه إليه بينما يتجه الناس إلى سواه بهممهم وجباههم.

وأنه «غوث اليقين» أي الذي تستغيث به الجن والإنس[4]، بل إن النعجة

(١) القواعد المرعية ٧، التاريخ الأوحد ١٠٣، الفخر المخلد ٢، المعارف المحمدية ٧٣.

(٢) الفجر المنير ٨٨، قلادة الجواهر ١٣٢، روضة الناظرين ٧٣.

(٣) روضة الناظرين ٧٣.

(٤) صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار، عن كتاب النجوم الزواهر ٦٦، لأحمد=

تستغيث به إذا هاجمها الذئب وتقول بلسان فصيح : أدركني يا سيدي أحمد»[1].

وأن الله صرفه في الكون[2].

وأنه «مجيب الدواعي[3] وأمان الخائفين، والمتحكم في ذرات الكون»[4].

وأنه ملجأنا وملاذنا ومفزعنا وولي نعمتنا[5].

وأنه كشاف المدلهمات والكروب[6].

وأن التمسك بأذياله من أسباب النجاة[7].

وأن الله ختم به الولاية فهو «خاتم الأولياء»[8].

وأن الله جعله ظلاً ظليلاً وأماناً لأهل الأرض، وأن مقامه وخلافته تشهد بها السموات والأرض، وأن كل الناس أجابوا ولايته، حتى الذر الذين لم يزالوا في أصلاب الآباء قد شهدوا بولايته[9].

فبه يدفع الله البلاء، وبه يمطر السماء، وبه يرحم الخلق، وبه تخضر الأرض، وبه يدر الضرع، وبه تنزل البركات، وبه ترفع الدرجات[10]!

= الرحبي الحسيني، ط: دار الحرية، بغداد ١٩٨٠.

(١) المعارف المحمدية ٧٢ ـ ٧٣. (٢) قلادة الجواهر ٧٢.

(٣) قلادة الجواهر ٤٢٧، ضوء الشمس في قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس ١/١٣٤ للصيادي.

(٤) إرشاد المسلمين ١٣ ـ ١٤.

(٥) قلادة الجواهر ١٧، الفرقان ١٤ و ٣٦، القواعد المرعية ٢٨، ضوء الشمس ١/٣٠٤.

(٦) الفخر المخلد ٣. (٧) القواعد المرعية ٣٨.

(٨) المعارف المحمدية ٩٠، قلادة الجواهر ٣٦ و ٤٣٢، التاريخ الأوحد ١٠٨.

(٩) قلادة الجواهر ٣٥ ـ ٣٦. (١٠) قلادة الجواهر ١٣١.

الفصل الثاني

قرية الرفاعي «أم عبيدة» البلد الحرام

لقد أضحت قرية «أم عبيدة» (مسقط رأس الشيخ أحمد الرفاعي) عند الرفاعية البقعة المقدسة والبلد الحرام الذي يتقرب الخلائق بزيارته إلى الله تعالى، ويتوجه إليه أصحاب الحوائج والكربات لرفع حوائجهم وكرباتهم، وذكروا أن أمر قدسيتها قد تم بمقتضى وعد إلهي.

فقد ذكر الصيادي أن الشيخ الرفاعي قال: «إن الله أعطى هذه البقعة خاصية تقرب الخلائق إلى الله، ووعدني أنه يجيب إلى هذه البقعة للزيارة زبدة الخلق لاغتنام بركتها، وأن يجعل خواص خلقه من مشارق الأرض ومغاربها في هذه البقعة»[1].

وقد جعلوا قرية «أم عبيدة» بمنزلة البلد الحرام فزعموا أن الأمر الإلهي قد صدر إلى الرفاعي بأن ينادي بالناس من كل حدب وصوب ليحجوا إليها ففعل مثلما فعل إبراهيم عليه السلام حين أذّن في الناس بالحج.

وزعموا أنه قال: «قيل لي: قم فناد أهل المشرق والمغرب والسهل والجبل إلى زيارة هذه البقعة السعيدة، فقام الرفاعي وصار يشير بيديه وهو واقف ويقول: «تعالوا إلى «أم عبيدة» تعالوا إلى هذه البقعة المباركة: كل شهر قوم، وكل سنة قوم، وكل

(١) قلادة الجواهر ١٢٩ و ٨٧، الفجر المنير ٧٦.

وقت قوم، ثم أردف يقول: نعم، نعم» فلما سئل عن ذلك قال: لما ناديت أجابوني بقدرة الله خلق كثير لا تحملهم هذه البقعة، فلما رأيت ذلك قلت: رويداً رويداً كل شهر قوم، كل سنة قوم»[1].

من دخلها لا تمسه النار:

قد جعلوا لقرية «أم عبيدة» فضائل عديدة ذكروا منها:

١ ـ أن زائرها يروح ويأتي تحت ظلال أجنحة الملائكة[2].

٢ ـ أن زائرها لا تأكله النار ولا تضره وهذا من وعد الله للشيخ الرفاعي كما يقولون[3]. وهذا ما لا يضمن في الشرع لزائر مكة ولا المدينة.

٣ ـ أن زيارتها وملازمتها كفيلة بقضاء كل حاجة، ويروون في ذلك قصة الأمير عبدالله الصيرفي الذي وقع في حالة دين فلازم قبة الشيخ أحمد الرفاعي فقضيت حاجته[4].

٤ ـ أن زائرها يتوجه إليها عند طلب حاجته ويخطو إليها ثلاث خطوات. يقول الصيادي: «من أهمه أمر فليتوضأ ويصلي لله ركعتين ثم يصلي على النبي مائة مرة، ثم يتجه إلى جهة البصرة محل مرقد الغوث الرفاعي ويخطو ثلاث خطوات ويقول له:

أيظلمني الزمان وأنت فيه ... وتأكلني الذئاب وأنت ليث
ويروى من بنانك كل ظامي ... وأظمأ في حماك وأنت غيث

---

(١) قلادة الجواهر ٤٣.

(٢) بوارق الحقائق ٢٢٤.

(٣) إرشاد المسلمين ٨٧، بوارق الحقائق ٢٢٩.

(٤) المعارف المحمدية ٤٠.

وقـد جربها رجل مظلوم ظلمه آل غريب، فالتزم القبة الرفاعية وقال: هذين البيتين فقال له الشيخ أحمد في المنام: «قضيت حاجتك» فما مضى شهر حتى فَنِي آل غريب عن آخرهم»[1].

وزعموا أن الرفاعي كان يقول: «إذا كان لكم حاجة ولم تقدروا أن تصلوا إلى (قرية) أم عبيدة فتوجهوا نحوها لله تعالى ثلاث خطوات واسألوا حاجتكم»[2].

وهذا متعارض مع ما أوصى به الشيخ لأتباعه: أن لا يجعلوا رواقه حرماً، ولا قبره بعد موته صنماً[3].

وهم يعتبرونه في قبره حياً متصرفاً. ذكر الصيادي أن خادم القبة الأحمدية نعس مرة فنام وفي يده الكتاب وزجاجة الزيت بجانبه، فرأى السيد أحمد في المنام وهو يقول له: «يا أبا الرضا تنبه، لولا أني صنت لك الكتاب لأخذه الزيت. فتنبه فوجد الكتاب صار في مكان والزجاجة في مكان آخر»[4].

أوصاف القرية الحرام ومزاياها عندهم:

وقد وصفوا هذه القرية بأنها:

١ ـ كعبة هموم المحققين، وحرم الأمان للطالبين، البيت المقدس الأمين، مهبط الرحمات، منبع الفتوحات، نمط الجفر العلوي[5].

---

(١) قلادة الجواهر ٤٣٥ و ٢٣٩، المعارف المحمدية ٤٠ و ١١٢، بوارق الحقائق ٢٢٩، خزانة الإمداد ٣٤، العقود الجوهرية ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) قلادة الجواهر ١٢٩ و ١٦٥ و ١٦٦، الفجر المنير ٥٠ و ٦١، خزانة الإمداد ٣٤، بوارق الحقائق ٢٢٧.

(٣) الكليات الأحمدية ١١٥، حكم الرفاعي ١٢، البرهان المؤيد ٥٢.

(٤) المعارف المحمدية ٤٠، خزانة الإمداد ٣٣.

(٥) بوارق الحقائق ٢٢١ ـ ٢٢٢. وهذا تصريح آخر من قبلهم بالجفر المكذوب المنسوب إلى الإمام علي رضي الله عنه مما يؤكد ميول هذه الطريق إلى التشيع

٢ ـ محط رحال العباد ومنها ينثر الخير إلى سائر البلاد.

٣ ـ البقعة المقدسة، طور سيناء قلوب العارفين[١].

الرسول والكعبة يزوران قرية «أم عبيدة»:

إنّ كل هذه الصفات التي تتصف بها قرية «أم عبيدة» تجعلها أفضل من المساجد الثلاثة، وأولها في ذلك مكة. وكيف لا تكون أفضل من مكة وقد زعموا أن الكعبة رؤيت وهي قادمة تشد رحالها إلى قرية «أم عبيدة» مع الرسول ﷺ.

فلقد زعموا أن أحد الصوفية رأى في المنام خياماً عظيمة على الطريق فسأل: لمن هذه الخيام، فقالوا: هذه لرسول الله ﷺ فدخل إليه وسلم عليه.

وقال: يا رسول الله إلى أين هذه الرحلة المباركة؟
فقال: «إلى قرية أم عبيدة لزيارة أحمد بن أبي الحسن الرفاعي».
فقلت: يا رسول الله: الناس لك يزورون وإلى نحوك يقصدون!
فقال: «يا حاج أنت حججت وقصدت البيت؟».
فقلت: نعم.
فقال: «ارفع رأسك فانظر».
قال: فرفعت رأسي فنظرت إلى الكعبة وهي سائرة.
قال النبي ﷺ: «ها أنا والكعبة زائرون».

فقام الرجل من نومه وهب ينادي في الناس، ويحثهم على المبادرة إلى المسير إلى قرية الرفاعي حيث الرسول ﷺ والكعبة زائرون[٢].

وهم إذا تكلموا عن الكعبة لم يعظموها كتعظيمهم قرية «أم عبيدة»، وإنما يقللون من شأن الطواف حولها ويثبطون الناس عن الذهاب إليها. مثلما نقل

(١) بوارق الحقائق ٢٢٦.

(٢) إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين ٨٤، روضة الناظرين للوتري ٥٩.

الصيادي عن الجنيد أنه كان يطوف بالبيت الحرام فاعترضته جارية وقالت:

«يا جنيد: تطوف بالبيت أم برب البيت؟.

فقال: أطوف بالبيت.

فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار»[1].

وهكـذا رأينا وصف قرية الرفاعي وقبته بأنها الكعبة والحرم والبيت المقدس والبقعة المقدسة ومهبط الرحمات وكشف الكربات وموضع قضاء الحاجات، فهل يتوافق كل هذا مع تعاليم شيخهم الرفاعي الذي كان يقول لهم:

«يا سادة: لا تجعلوا رواقي حرمـاً، ولا قبـري بعد موتي صنماً، عليكم به سبحانه، لا يضر ولا ينفع ويصل ويقطع ويفرق ويجمع إلّا الله»[2].

لقـد بات من المـلاحظ أنهم ينتـزعون من صفات الله، ومن صفات النبوة للرفاعي، وينتزعون صفات بيت الله وبلده الحرام لقرية الرفاعي فماذا يريدون من وراء ذلك؟

---

(١) قلادة الجواهر ٤٥٤.

(٢) الكليات الأحمدية ١١٥، حكم الرفاعي ١٢، البرهان المؤيد ٥٢.

الكتاب الرابع

الشرك بالله في الاستغاثة

الفصل الأول

الرفاعية والاستغاثة

الاستغـاثـة بغير الله (كحالها في جميع المناهج المنحرفة) هي الغاية التي نسجت حولها كل كرامات مشايخ الرفاعية وامتيازاتهم وخوارقهم، لقد سيق كل ذلك من أجل تقرير أنهم الأغواث الذين يلجأ إليهم المضطر، ويستغيث بهم الملهوف.

فمن لا يملك التصرف في الأكوان كيف يرجى منه كشف الضر ورفع الكرب؟ فلذلك ذكروا أن مشايخهم يتصرفون في الأكوان.

ومن لا يملك الكشف يكون غافلاً عما يغيب عنه، فكيف يرجى منه سماع الاستغاثة، فلذلك ذكروا أنهم يسمعون المستغيث بهم أينما كان.

ومن لا يملك تغيير المقدور وغفران الذنوب كيف يرجى منه ذلك؟ فلذلك ذكروا أن مشايخهم يصعدون إلى السماء ويحضرون ديوان الربوبية فيمحون من ذنوب مريديهم ما شاؤوا [ويغيّرون من أقدارهم ما أرادوا].

وقد أشرت فيما سبق إلى أنّ الرفاعية قد جعلوا لشيخهم رتبة «الغوثية» وذكروا

أن المظلوم يستغيث به، بل أن النعجة تستغيث به إذا انقضّ عليها الذئب وتناديه: «يا سيدي أحمد»[1].

وأن الرفاعي ما زال يرتقي من مقام إلى آخر حتى ارتفعت رتبته عن مقام «الغوثية»، إلى مرتبة النيابة عن النبوة وأن مرتبة النيابة عن النبوة أرفع وأجل من مرتبة الغوثية[2].

قالوا: «ولهذا لما قال له أحد تلامذته: أنت القطب، قال له الرفاعي: نزّه شيخك عن القطبية. فقال له حينئذ: أنت الغوث. قال له الرفاعي: نزّه شيخك عن الغوثية»[3]. فهذا التنزيه عندهم إنما أراد به الرفاعي ترفعه عن هذين المقامين القاصرين الناقضين إلى ما هو أعلى منهما[4].

موقف الرفاعي من الاستغاثة بغير الله:

ولئن صحت الرواية عنه رحمه الله فالأحرى به أن يقصد تنزيهه عن الألقاب الشركية التي تمنح خصائص الألوهية للمخلوق، فلا مدبّر إلّا الله، ولا مغيث إلّا الله سبحانه عن الشريك والمعين.

فهذا النص يفيد بوضوح أن الاستغاثة بالأولياء يعدها الرفاعي من الشرك المنافي للتوحيد، ولذلك اعترض على تلميذه حين وصفه بها.

وكما ذكرنا، فقد كان الرفاعي يرى العكوف على قبور المشايخ والتبرك بها من الوثنية، وسمى القبر في مثل هذه الحالة «صنماً». قال:

---

(١) المعارف المحمدية ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) المعارف المحمدية ٦٠.

(٣) طبقات الصوفية للشعراني ١/٤٤١، الفجر المنير ٨٦ للصيادي، ترياق المحبين ٨٨، التاريخ الأوحد ١٠٦.

(٤) انظر التاريخ الأوحد ١٠٦.

«يا سادة: لا تجعلوا رواقي حرماً، ولا قبري بعد موتي صنماً، عليكم به سبحانه، لا يضر وينفع ويصل ويقطع ويفرق ويجمع ويعطي ويمنع إلّا هو»[1].

وهذا الكلام موجود في الكتب التي يشدد الرفاعية على صحة نسبتها إلى شيخهم والتي يذكر فيها أن الله يقول:

«ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني إلّا قطعت أسباب السماء من يديه ووكلته إلى نفسه، وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي دون خلقي إلّا أعطيته قبل أن يسألني»[2].

وأن عيسى عليه السلام قال: «طوبى لعبد سأل الله ولم يسأل إلّا الله»[3].

وروى أن بعض الصالحين وقع في بئر، ومرت بجانب البئر قافلة، فأراد أن يستغيث، فهتف به هاتف: «أتستغيث بغيري وأنا غياث المستغيثين»[4].

وأن الله تعالى قال لعبد من عباده: «لا تسأل غيري فأمقتك»[5].

هذا موقف الرفاعي من الاستغاثة بالمشايخ وملازمة قبورهم، وهذا هو موقف كبار أئمة الصوفية وعقلائها أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى كما تؤكد مراجع التصوف المعتمدة فقد كان يشنع على المستغيثين المستعينين بغير الله فيقول في كتابه: «الفتح الرباني»:

«يا مَنْ يشكو الخلق مصائبه، إيش ينفعك شكواك إلى الخلق، لا ينفعونك

---

(١) البرهان المؤيد ٥٢، حكم الرفاعي ١٢، الكليات الأحمدية ١١٥ جمع الصيادي في هذا الكتاب أقوال الرفاعي كلها.

(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله ١٢٤ منسوب إلى الرفاعي رحمه الله.

(٣) حالة أهل الحقيقة مع الله ٦٨.

(٤) حالة أهل الحقيقة مع الله ١٢١ - ١٢٢.

(٥) حالة أهل الحقيقة مع الله ١٣٤.

ولا يضرونك، وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عز وجل يبعدونك، وفي سخطه يوقعونك.. أنت يا جاهل تدعي العلم، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك الخلق.. ويلك، أما تستحي أن تطلب من غير الله عز وجل وهو أقرب إليك من غيره»[1].

وقال لولده عند مرض موته: «لا تخف أحداً ولا ترجه، وأوكل الحوائج كلها إلى الله عز وجل واطلبها منه، ولا تثق بأحدٍ سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلّا عليه سبحانه، التوحيد التوحيد، وجماع الكل التوحيد»[2].

(١) الفتح الرباني والفيض الرحماني ١١٧ ـ ١١٨ و ١٥٩، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.
(٢) الفتح الرباني ٣٧٣.

الفصل الثاني

موقف أتباع الرفاعي من الاستغاثة بغير الله

هذا هو مذهب الرفاعي والجيلاني رحمهما الله من الاستغاثة، فما هو يا ترى مذهب الرفاعية؟.

يروي محمد أبو الهدى الصيادي (الذي كتب في الطريقة ما يزيد على الخمسين مصنفاً). عن الرفاعي أنه قال[1]:

من لاذ فينا اكتفى عن غيرنا أبداً ... وجاء في ركبنا بالأمن من ندم
فالجأ بأعتاب عِزّي والتمس مددي ... وطف ببابي وقف مستمطراً نعمي
ولازم الذل في بطحاء منزلنا ... تنجو بهمتنا من حالة العدم

وليس يعقل أن يقول الرفاعي مثل هذا القول الشركي: «من لاذ فينا اكتفى عن غيرنا» وهل يكتفى أو يستغنى بالرفاعي عن الله تعالى؟.

ثم إن هذا لا يتفق مع ما حكوا عن الرفاعي أنه كان كلما طلب أحدهم الدعاء منه يقول له: «مَنْ أنا حتى أدعو لك؟ ما مثلي إلّا كمثل ناموسة على الحائط لا قدر لها وكيف تدعوه نفسه إلى ذلك مَنْ هو لا شيء»[2].

---

(١) قلادة الجواهر ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) البرهان المؤيد ٤٤.

قال الشيخ الآلوسي في غاية الأماني:

«وقد تكلمت يوماً مع أحد غلاة الرفاعية إذ استغاث بالرفاعي:

فقلت له: هل يسمع الآن الرفاعي نداءك وهو في قبره في قرية «أم عبيدة» ويمدك بالمدد؟

فقال: نعم.

قلت: فإذا اتفق مثلك في بلاد كثيرة ومواضع متعددة ألوف مؤلفة في أقطار شاسعة، هل يسمعهم أحمد الرفاعي ويمدهم ويغيثهم؟

قال: نعم.

قلت له: أرأيت إن كان كثيرون مثلك في بلاد أخرى متعددة يستغيثونه في نفس الوقت الذي تستغيث أنت فيه، هل يسمع نداءهم جميعهم في آن واحد ويغيثهم؟

قال: نعم»[1].

فانظر كيف صار اعتقادهم في الرفاعي: إنه لا يشغله سمع عن سمع، ولا يغفل عن أدعية الداعين واستغاثة المستغيثين ولو تعددوا واختلفت أمكنتهم في الوقت الواحد، فهذا بلا ريب من إضافة صفات الخالق إلى المخلوقين!!

وهذه مجموعة من أبيات الشعر التي قالها الصيادي، وقد تكون لغيره ونسبها إليه[2]، وهي تحوي في ثناياها أصنافاً من الشرك والاستغاثة بالرفاعي ورجائه وطلب المدد منه.

يقول الصيادي[3]:

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٣٤٥ - ٣٤٦ لمحمود شكري الآلوسي العراقي، ط: دار إحياء السنة النبوية.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن الشيخ عبد الحميد الرافعي قد نحل كثيراً من أشعاره إلى الصيادي (انظر الأعلام للزركلي ٣/٢٨٧).

(٣) الكنز المطلسم ٦١ - ٦٢.

يا رفـاعـي وقعت في أعتـابـك فتـدارك عبـداً يلوذ ببـابـك
يا رفـاعـي يا غوث كل البـرايا لا تضيع طفـلاً جميل الـرجا بك

ويقول[1]:

لك يا غوثـاه تصـريف الـزمـان حيث أنـت الـمـرتـجى في كل آن
أنـت في بابـك محـراب الأمـان فتـداركـنـي وأصـلح سببـي

ويقول[2]:

كل الأنـام عيال عليك يا ابـن الـرفـاعـي
يا بحـر كل الـمـزايـا ويا مجـيب الـدواعـي

ويقول[3]:

يا ابـن الـرفـاعـي تدارك لمـن أتـى واستـجـارك
شيخ الـعـريجـا أغـثـني أصبـحت في الحي جارك
لا تلو طرفـك عني إنّـي أروم انـتـصـارك
فإن تغـاضـيت عني يصـير عاري عـارك

ويقول[4]:

لذ بباب الجليل الـرفاعي ولك الأمن من ملم الدواعي
وتملمـل برحبـه فحمـاه حرم الوصل قاطع الانقطاع

ويقول الصيادي[5]:

---

(١) العقود الجوهرية ٢٤. (٢) قلادة الجواهر ٤٢٧.
(٣) قلادة الجواهر ٣٨٢ ـ ٣٨٣.
(٤) ديوان الفيض المحمدي ١٢٠ ـ ١٢١.
(٥) تنوير الأبصار ١٠.

يلاذ به إن جار في الـدهـر حادث ... ويحـمـي بعلياه إذا الـزمن اعتـدى

ويقول[1]:

به أحـتـمـي إن سامـنـي غدر غادر ... ودومـاً إليه في الصعـاب التجـائيه
ومـن كل كرب أستـغـيث بإسـمـه ... فذا مأمـنـي من كل عاد وعـاديه
ومـا لي سواه في الأنـام وسـيلة ... ولا منـجـداً أيام تسـطو أعـاديه
ومـا لي إلاّ هوْ إذا جئـت خائـفـاً ... وقـمـت أؤدي في الـقيم حسـابيه

ويقول[2]:

غوثـاه يا ابـن رسـول الله خذ بيدي ... يا سيد الأولـيا يا ثابـت الـقـدم
ما لي لبـاب رسـول الله واسـطة ... إلاك فاسمح وقـل لا تخش من ندم

وينقل عن محمد نور أفندي قوله[3]:

يا ابن الـرفـاعي الـرفيع مقـامـه ... يا سيد الأقـطـاب والـسـادات
شرّفـتَ قيعـان الـعـراق جميعهـا ... فغـدت بقـبـرك مهبط البـركـات
كم نظرة وجـهـتـهـا لمـضـيّع ... فجمعت الامـر منـه بعـد شتـات
ولـكم صرفت القلب نحـو عويجـز ... فرفـعـت رتبتـه إلـى الـغـايـات
يا من يؤمـل عنـد كل ملمـة ... يا من يُؤَمُّ حمـاه للفـضـحـات
يا صاحب العلمين يا بحـر النـدى ... يا عمـدتـي أبـداً وحصن نجـاتي
أدعـوك غوثـاً يا ابـن بنـت محمـد ... يا سيدي يا عالـي الـدرجـات
لا تقـطعـن رحـمـي لذنـب مسَّني ... وأقـل بفـضـلكَ دائـمـاً عثـراتـي

---

(١) الكنز المطلسم ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) ديوان الفيض المحمدي ١٢٦.

(٣) الكنز المطلسم ٨٠ ـ ٨١.

الفصل الثالث

التثبيط عن دعاء الله والاستغاثة به

وحين يكـون الدعاء إلى الرفاعي أو الجيلاني أو البدوي أو الدسوقي، فإن الصـوفية يزيّنونه في نفوس الناس، ويرغبون به ويقولون: هذا الدعاء مجرب في كشف الكروب، أمّا إذا كان الدعاء لله فإنهم يهونونه ويقللون من شأنه:

فتارة يعتبرون الدعاء متعارضاً مع مبدأ التوكل والتسليم والرضا بحكم الله، ويقولون: لن يغني الدعاء عن القضاء.

وفي ذلـك يروى عن الـرفـاعي أنه لما وضع المنشار على رأس زكريا عليه السـلام، أراد أن يستغيث فعاتبه الله على ذلك وقال له: «ألا ترضى بحكمي»، فسكت حتى قطع نصفين[1].

وفي مثل هذا يروي الغزالي أن ولداً ضاع لأحد المتصوفة فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يرده عليك، فقال: «اعتراضي عليه فيما قضى أشد عليّ من ذهاب ولدي»[2].

وسئل أبو سليمان الداراني عن مقام الرضا فقال: «أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ به من النار»[3].

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله ١١٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٥٠، الأربعين في أصول الدين ٢٠٠ للغزالي.

(٣) الرسالة القشيرية ٩٠، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

وتارة يعلنون الاستحياء من سؤال الله شيئاً من أعراض الدنيا[1].

وفي هذا يروون أنه جيء إلى الشيخ أحمد الرفاعي بمريض يطلبون منه الدعاء له، فأبى وتركوه عند الباب وقالوا: دعوه لعل الشيخ في ممره ومجيئه عليه أن يرحمه، ومع ذلك فلم يلتفت للمريض.

فقال أحد تلاميذه: يا سيدي أما تنظر إلى هذا الرجل المسكين وترحمه وتسأل الله له العافية؟

فقال: لي كل يوم عند الله ألف حاجة مقضية ما سألته منها حاجة في الدنيا. اعلم أن الرجل الجيد المتمكن في نفسه إذا سأل ربه حاجة وقضيت له نقصت درجته عند الله تعالى.

فقال له تلميذه: أنت تدعو عقب كل صلاة.

فقال الرفاعي: ذلك الدعاء تعبد مندوب إليه. أمّا أمور الدنيا فإني أستحيي من الله تعالى أن أسأله شيئاً من ذلك[2].

وهكذا نجد شذوذ هذا المسلك عند المتصوفة وبعده عن تعاليم الإسلام، فإنهم يستحيون من دعاء الحي القيوم الذي يقول في كتابه: ﴿ادعوني﴾. ويعتبرون دعاءه منافياً للرضا بالقضاء. أمّا دعاء الأموات فلا يستحيون من أن يدعوهم ويقولوا: أغث تعطف تكرم جد لَبِّ النداء المدد المدد.

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله ١٣٤.

(٢) قلادة الجواهر ٨٢.

الكتاب الخامس

الرفاعية والشيعة

الفصل الأول

أوجه التلاقي بين الرفاعية والشيعة

لقد خلف التشيع آثاراً واضحة في التصوف كما صرح بذلك جمع من العلماء والمحققين كابن خلدون في مقدمته، وغيره حيث قارن هؤلاء ما عند الشيعة من الغلو في الأئمة ومن تقديس قبورهم وقولهم بالعلم الباطن المسمى عند المتصوفة بـ «العلم المكتوم» أو «اللدني» الذي يزعمون أن علياً رضي الله عنه أخذه عن النبي ﷺ من دون الناس، وأخذه عنه الخاصة.

لقد قارنوا ذلك بما يوجد في كتب التصوف. وانتهوا إلى تلك الحقيقة وهي أن التصوف «فرع من التشيع»[1].

وإذا كان الأمر كذلك، فلننظر إلى أهم أوجه التقارب بوجه خاص بين الرفاعية والشيعة.

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ٣٢٢ و ٤٧٢ - ٤٧٥.

أئمة أهل البيت عند الرفاعية والشيعة:

يعتقد الرفاعية أن النبي ﷺ نور محض، وأنّه لو بدا من نوره مثقال ذرة لاحترق ما بين العرش إلى الثرى[1]. وأن أهل بيته أنوار الوجود اللامعة[2]. بل قالوا عن الرفاعي نفسه أنه مظهر الأنوار الإلهية لأنّ الله خلقه من نور وجهه[3].

ويعتقد الشيعة مثل ذلك فيقولون بأن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله[4]. وقال الخميني: «إن الرسول والأئمة كانوا أنواراً»[5].

ويعتقد الرفاعية أن مشايخهم وأئمتهم أمان لأهل الأرض. ولقد قالوا بأن الشيخ علي الرفاعي كان أماناً لأهل الأرض وظلاً ظليلاً على سائر الخلق[6].

وأن الله جعل أحمد الرفاعي ظلاً يستظل به جميع الخلق[7].

وفي المقابل ينقل الشيعة عن أئمتهم قولهم: «ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء». ولو رفع الإمام من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله[8].

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله ٢٤ منسوب للشيخ أحمد الرفاعي، ط: العمومية بمصر ١٣١٥ هـ.

(٢) المعارف المحمدية ٢٧، المجموعة النادرة ١٥ ضمن أشرف الوسائل تحقيق وجمع عبد الحكيم عبد الباسط الرفاعي.

(٣) إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي ١١ للبرنزجي الرفاعي، إرشاد المسلمين ٧، قلادة الجواهر ٤٦، ٤٣٢، المعارف المحمدية ٩٠.

(٤) كتاب من لا يحضره الفقيه ٤/٤١٤ لابن بابويه القمي.

(٥) الحكومة الإسلامية للخميني ٥٢ (٦) قلادة الجواهر ٣٥٠.

(٧) قلادة الجواهر ٣٥.

(٨) كمال الدين وتمام النعمة ١/٢٠٧ لابن بابويه القمي، وانظر الأصول من الكافي للكليني ١/١٧٨ - ١٧٩.

وينسب الرفاعية إلى مشايخهم العلم المطلق بكل المكنونات. ولما أثنى الصيادي على قريبه «المهدي الروّاس الرفاعي» وصفه قائلاً:

بمكنون الغيوب حوى اطلاعاً تراه بكل آتيةٍ خبيرا [1]

ويرى الرفاعي أن الأولياء خزائن الله في أرضه وسمائه يضع فيهم ودائع سره وآياته التي لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل[2].

وهذا ما تعتقده الشيعة في أئمتها فيقولون بأن عندهم: علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء[3].

ويقول الخميني: «إن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل[4].

والتوافق بين عبارة الخميني والرفاعي ظاهر في تفضيل الأئمة والأولياء على الأنبياء والملائكة.

والرفاعية يعتقدون في الرفاعي والشيخ منصور وغيرهما أن الله حكمهم في ذرات الكون[5].

وكذلك الشيعة يعتقدون في أئمتهم ذلك. ولا يخفى قول الخميني: «إن لأئمتنا مقاماً سامياً، وخلافة تكوينية تخضع لها جميع ذرات الكون»[6].

ويكاد الشيعة والرفاعية يتفقان حرفاً ومعنى على رفع علي رضي الله عنه إلى

---

(١) تنوير الأبصار ١٣١.

(٢) طبقات الصوفية للشعراني ١/١٧٣.

(٣) الأصول من الكافي للكليني ١/٢٦١.

(٤) الحكومة الإسلامية ٥٣.

(٥) انظر إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين ١٣ و ١٤ و ١٧.

(٦) الحكومة الإسلامية ٥٣.

مرتبة الربوبية فيروي عنه الشيعة أنه قال: «والله لقد كنت مع إبراهيم في النار وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة وأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجب فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح»[1].

ويروي عنه الرفاعية أنه قال: «أنا نقطة بسم الله أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، أنا اللوح المحفوظ، أنا اللوح وأنا القلم وأنا العرش وأنا الكرسي، وأنا السموات السبع والأرضون»[2]. وهذا موافق لما في بحار الأنوار للمجلسي.

الرفاعي بعد الأئمة الإثني عشر:

الرفاعية يعتقدون بإمامة الإثني عشر الذين قالت الشيعة بإمامتهم، ويجعلون شيخهم الرفاعي خير آل البيت بعدهم. يقول الصيادي:

«ولم يأت في أهل البيت الطاهرين بعد سادة الأئمة الإثني عشر سلام الله عليهم ولي لله تعالى أعظم منزلة وأكمل عرفاناً من الشيخ أحمد الرفاعي»[3].

ولا يخفى أن الإمام الثاني عشر منهم واسمه محمد بن الحسن العسكري هو الإمام الغائب الذي يعتقدون أنه دخل في السرداب ولم يخرج منه إلى الآن والذي ينتظر الشيعة خروجه منه. ويؤكد بعض العقلاء من الشيعة اليوم أن فكرة المهدي المختبيء في السرداب ما هي إلّا أسطورة وأماني يعيش الشيعة على أصدائها.

---

(١) الأنوار النعمانية ١/ ٣١ لنعمة الله الجزائري تحقيق القاضي الطباطبائي.

(٢) ضوء الشمس للصيادي ١/ ١٣١-١٣٢، قارنه بكتاب «بحار الأنوار» للمجلسي ٢٦/ ١٥٣.

(٣) المعارف المحمدية ٢ و٧٣، الطريقة الرفاعية ١٢٧، بوارق الحقائق ١٩٦، القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية ٧ و٣٨، ط: محمد أفندي مصطفى، ترياق المحبين ١٢، الكنز المطلسم ٢٦، تنوير الأبصار ٣٦، إرشاد المسلمين ٩٧.

ولما كانت هذه الموافقة بين الرفاعية والشيعة في اعتقاد إمامة الأئمة الإثني عشر (ومن بينهم المهدي الغائب) تتنافى ونصوص السنة التي تحدثت عن مهدي آخر لم يولد بعد ويكون اسمه «محمد بن عبدالله» وليس ابناً للحسن العسكري كما تعتقد الشيعة، لما كان هذا القول مماثلاً لاعتقاد الشيعة الإثني عشرية، ومخالفاً لما يعتقده أهل السنة حاول الرفاعية تبرير ذلك باختلاق رؤيا تحل المشكلة وتبرر هذا الاتجاه الشيعي عندهم، فرووا عن الشيخ عبد الجليل عبد السميع الهاشمي الرفاعي أنه كان لا يقبل القول بإمامة الأئمة الإثني عشر، غير أنه غيّر رأيه حين رأى النبي ﷺ في المنام يقول له:

ولدي أحمد ثالث عشر الأئمة أئمة الهدى من أهل بيتي. قال: فكنت لا أقول بإمامة الإثني عشر أئمة الهدى. فبعد هذه الرؤيا تأدبتُ وقلت بإمامتهم قولاً صالحاً لا يهدم منارة الإجماع[1].

ودائماً يحل الصوفية مشاكل البدع بهذه الطريقة التي تلبِّس على عامة الناس فيكفي أن يزعموا بأنهم رأوا النبي ﷺ في المنام، ووافقهم على المسألة الفلانية لتصير بعد ذلك مشروعة عندهم وإن كانت نصوص السنة المنقولة عنه عليه الصلاة والسلام تخالفها.

وكم من أحاديث مكذوبة اعتقدوا صحتها بدعوى أنهم خرّجوها في المنام، وتحققوا من صحتها بسؤال النبي ﷺ شخصياً عنها. وكم من بدعة صارت عندهم من السنة بدعوى أنه أمرهم بها في المنام. وهذا من خدع الشيطان عليهم فإن النبي ﷺ لا يحل في المنام ما قد حرمه في اليقظة، والله يقول: ﴿**اليومَ أكملتُ لكم دينَكم**﴾.

---

(١) إرشاد المسلمين ٤٥.

الفصل الثاني

الرفاعية وعلم الباطن

دأب الباطنية على إثبات وجود علم باطن لم يبلِّغه النبي ﷺ إلى الناس وإنما أسرَّه إلى خاصته. وأخص خاصته هو علي رضي الله عنه الذي أخذ هذا العلم عنه ﷺ، ثم تلقاه عنه أبناؤه من بعده. وبقي عند الإمام المعصوم الذي يأتي من لدنه التأويل.

وقد وصفوا الإمام علي بأنه «باب مدينة العلم» و «وصي النبي وسره». ويرى أهل الحديث أن من وافق الشيعة في هذا الادعاء ألحق بهم واستحق وصفه بالتشيع ونهوا عن أخذ الحديث منه.

قال النووي رحمه الله: «قال القاضي: ولما عرف عن الحارث (أحد الرواة) قبح مذهبه وغلوه في مذهب الشيعة ودعواهم الوصية إلى علي رضي الله عنه وسر النبي ﷺ إليه من الوحي وعلم الغيب ما لم يطلع غيره عليه: سيء الظن في الحارث (أي تركوا روايته لذلك)»[1].

وهذا الأمر متفشٍّ عند الصوفية عامة وعند الرفاعية بوجه خاص.

فالإمام علي عند الرفاعية «باب مدينة العلوم»[2] و «سر باب النبي ﷺ»[3].

---

(١) شرح النووي على مسلم ١/٩٩.

(٢) قلادة الجواهر ١٩.

(٣) المعارف المحمدية ٣٠.

وقد وافقوا الباطنية في قولهم بالعلم الباطن فقال الواسطي من الرفاعية:

وقد صح أن سلمان تلقى علم الباطن عن أمير المؤمنين علي، وهو «أخذه» عن ابن عمه ﷺ[1]. (وسلمان رضي الله عنه ممن يغلو فيه الشيعة والباطنية عامة).

ويعرف عندهم أيضاً بـ «العلم المكتوم» كما وصفه الغزالي[2] أو «العلم اللدني» الذي يدعي الباطنية أنهم أخذوه عن المهدي المعصوم صاحب الزمان والسرداب مباشرة أيضاً.

وصار هذا العلم عند الصوفية علماً آخر غير العلم اللدني الشرعي الذي أوتيناه من لدن نبينا والذي أوتيه هو من لدن ربه. وصارت له أحكام وفتاوى تختلف عن الأحكام المتعلقة بالعلم الشرعي حتى أنك لتجدهم يقولون في ترجمة سيرة شيخ من مشايخهم: «درس الشيخ الفلاني وأفتى في علمي الظاهر والباطن»[3].

وقد جعلوا البوح بهذا العلم كفراً وأوجبوا كتمه، وهو عين قول الشيعة الباطنية الذين يقولون: إن هذا العلم مكنون فاكتموه إلّا مِن أهله[4].

نماذج من التفسير الباطني عند الرفاعية:

ولا يكاد يستثنى التصوف قديماً ولا حديثاً من الاعتقاد بهذا العلم الباطن. وتحت هذا العلم الباطن مسخوا معاني الآيات والأحاديث وحرفوها إلى معان أخرى مثلما فعلت الباطنية على اختلاف طوائفها.

ثم صار للكلام معنى غير ما يدل عليه اللفظ، وصار لهم في كلام الله تفسير

---

(١) ترياق المحبين ٧، ط: المطبعة البهية المصرية ١٣٠٤ هـ.

(٢) ميزان العمل ١١١ لأبي حامد الغزالي، ط: دار الكتب العلمية.

(٣) جامع كرامات الأولياء ١/ ١٨٩ للنبهاني.

(٤) لطائف المنن للشعراني ٤٨٩، وانظر في المقابل كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي الشيعي ٤/ ٤١٤-٤١٥ باب أحوال الأنبياء والأوصياء.

غير المأثور عن الصحابة وأهل التفسير، مثال ذلك:

روى الصيادي أن فقيهاً جاء إلى الشيخ علي بن عثمان الرفاعي وقال له: فسر لي قوله تعالى: ﴿**إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة**﴾.

فقال له علي: تريد تفسيرنا أو تفسيركم؟

قال الفقيه: وهل هناك فرق بين تفسيرنا وتفسيركم؟

قال: نعم.

قال: ما تفسيركم؟

قال: الملك هو الله عز وجل، والقرية قلبك[1].

والجنيد من الصوفية يفسر قوله تعالى: ﴿**لا أحب الآفلين**﴾ أي «لا أحب من يغيب عن عياني وعن قلبي»[2]. ويفسر قوله تعالى: ﴿**والذي يميتني**﴾ أي بالغفلة ﴿**ثم يحيين**﴾ أي بالذكر.[3]

وفسر ابن عربي «النبأ العظيم» بأنّه أمير المؤمنين علي عليه السلام[4].

ومع أنهم رووا عن الشيخ أحمد الرفاعي إدانته لفكرة مخالفة الباطن للظاهر كقوله: كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة.. الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع، لوث هذه الخرقة كذاب، وقال: الباطن غير الظاهر[5].

إلاّ أنهم رووا له ما يناقض ذلك. فمن ذلك قوله: وقيل: ﴿**اخلع نعليك**﴾ أي اخلع عن قلبك أهلك وولدك وكل ما سوى الله[6].

---

(١) قلادة الجواهر ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/٢٦٥، كتاب «ضوء الشمس في قوله ﷺ بني الإسلام على خمس» ١/٧١ للصيادي. طبعه عبد الحكيم عبد الباسط. مجهول مكان الطبع.

(٣) ضوء الشمس ١/٧١.

(٤) تفسير ابن عربي ٢/٧٥٥، ط: دار الأندلس، بيروت.

(٥) الكليات الأحمدية ١١٤، حكم الرفاعي ٩ و ١١، وانظر البرهان المؤيد ٥٣.

(٦) حالة أهل الحقيقة مع الله ١٢٦.

قال الرفاعي: «لما أتى موسى الجبل نودي يا موسى اخلع نعليك: أي نفسك وزوجتك إنك بالواد المقدس عن رؤية الزوجة والنفس».

ولهذا كان يقول الرفاعي لتلاميذه: «إذا دخلتم المسجد فاخلعوا نعال الغيرية»[1].

الخلوة المحرَّمية في عاشوراء:

ومن مراسم الطريقة المتوافقة مع مبدأ التشيع: تلك الخلوة المحرمية عند الرفاعيـــة والتي تدوم سبعة أيام ابتداء من يوم عاشوراء يعتكفون فيها ويمتنعون عن النساء ولا يأكلون خلالها ذي روح، وإنما يقتصرون على اللوز والسكر وأمثاله[2].

قال الدكتور الشيبي في كتابه: «الصلة بين التصوف والتشيع».

«فالخلوة المحرّمية تعني أن على الرفاعي أن يعتكف سبعة أيام أوّلها الحادي عشر من شهر محرم فإن «عاشوراء» هو اليوم الثاني لقتل الحسين كما تفعل الشيعة على صورة فيها من المبالغة في الحزن، لكنَّ تقادُم العهد أنسى أصحاب الطريقة دلالات مراسمها فلم يلتفتوا إلى الممرات السرية التي تصلهم بالتشيع»[3].

---

(١) البرهان المؤيد ٧٨.

(٢) تطبيق حكم الطريقة العلية على الأحكام الشرعية ٣١٨ للصيادي.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٨، ط: دار المعارف مصر. وانظر كتاب الطرق الصوفية ١٠٤ ـ ١٠٥ لعامر النجار، ط: الأنجلو، مصر.

الفصل الثالث

الخرقة الصوفية وصلتها بالتشيع

ويعتقد الصوفية أن النبي ﷺ ألبس علي بن أبي طالب الخرقة، وهي لباس يرمز إلى أخذ السر (العلم الباطن) عنه وأن علياً ألبسها الخاصة ممن أخذوا هذا العلم الباطن عنه وهكذا.

يقول ابن خلدون: «فشاركوا ـ يعني الصوفية ـ الإمامية والرافضة حيث جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أن علياً ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريق. وهذا لا يعلم عن علي من وجه صحيح، ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه، بل الصحابة كلهم أسوة في طريق الهدى.

أضاف:

«وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها من القوم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه»[1].

وهذه الخرقة جعل الصيادي فيها سنداً من الشيخ أحمد الرفاعي إلى الحسن البصري قال: وهو أخذها من علي بن أبي طالب زوج البتول وابن عم المصطفى الذي ألبسه إياها[2].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٣٢٣ وانظر ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

(٢) قلادة الجواهر ٢٧٤.

قال هذا مع اعترافه في موضع آخر بأن «كثيراً من كبار الحفاظ والمحدثين كابن حجر والقسطلاني والسخاوي وبدر الدين العيني والذهبي ومغلطاي والعراقي والعلائي: كل هؤلاء أنكروا نسبة الخرقة واتصال سندها المزعوم وصرحوا أنه لم يرد ذلك في خبر صحيح ولا ضعيف، منكرين سماع الحسن البصري من الإمام علي بن أبي طالب»[1].

ونقل الحافظ ابن حجر عن الترمذي قوله: لا يعرف للحسن سماع من علي[2].

وكان الحسن صغيراً بالبصرة حين كان علي بالكوفة. وإنما أخذ الحسن الحديث عمن أخذ عن علي رضي الله عنه كالأحنف بن قيس، وقيس بن عباد. غير أن أهل البدع كالقدرية والجهمية والصوفية عكفوا على إلصاق شيء من بدعهم ونسبتها إلى الحسن. قال الذهبي: «وهو براء من كل ذلك»[3].

ويرى بعض المحققين أن أصل هذه الخرقة نصراني، فقد رأى أبو العالية (أحد كبار التابعين) رجلاً عليه خرقة من الصوف فقال له: «إنما هذه ثياب الرهبان»[4].

ويخبرنا الجاحظ أن النصراني إذا أراد أن يتنسك يلبس الصوف[5].

---

(١) تطبيق حكم الطريقة العلية ٢٧٨ ـ ٢٧٩، وانظر قلادة الجواهر ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/٢٦٨.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٤/٥٨٢ ـ ٥٨٣.

(٤) تلبيس إبليس ١٩٦.

(٥) كتاب الحيوان ١/١٠٣.

الكتاب السادس

شرائع لم يأذن بها الله

الفصل الأول

الشعائر والطقوس الرفاعية

قال الله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾، وقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾. وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «خذوا عني مناسككم»، وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

ولكلٍّ هذا معانٍ عظيمة ومهمة، فإنه ينص على وجوب أخذ الشعائر التعبدية كما سنها رسوله ﷺ، إذ ليس لأحدٍ الحق أن ينسك للناس مناسك من عنده.

ثم ابتدعت رهبنة الصوفية التي تعني عندهم اعتزال الدنيا وهي شعيرة نصرانية المصدر، قال إبراهيم بن أدهم: «تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان»[1]. ولذلك كان المتصوفة يمتدحون الرهبان لانفرادهم عن الناس ولجوئهم إلى قمم الجبال[2].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٣٤.

(٢) قال أبو حامد الغزالي في الإحياء: «ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق =

وابتدعت رياضة تجويع النفس والاقتصار على حبيبات الحمص التي يزعم بعض الصوفية الاقتصار على حبة واحدة منها كوجبة غذائية يومية تقوم بها أبدانهم[1]، وهي شعيرة وثنية هندية.

والرفاعية كغيرهم من الصوفية استحدثوا لأنفسهم مناسك وشعائر خاصة كالخرقة والأذكار المبتدعة والتنسك والرهبنة أيام الخلوات والامتناع عن صنوف من الطعام، وتحريم معاشرة النساء... إلخ.

وقد جعلوا لقهر العدو أذكاراً خاصة به، فقراءة الفاتحة ٣٠٠ مرة تكفيهم شره. أمّا هلاكه وقتله فإنها تهلكه إذا قرئت ١٠٠٠ مرة.[2].

وفيما يلي نماذج من شعائرهم وطقوسهم المبتدعة التي لم يرد بها آية من كتاب الله ولا حديث عن رسوله، ولم تؤثر عن الصحابة ولا عن التابعين ولا هي من سبيل المؤمنين.

= وانحازوا إلى قلل الجبال، وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله، وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة، وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال: ﴿**ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون**﴾». (انظر الإحياء ١/٢٦٦ و ٣/٨٩).

(١) ميزان العمل ١١٧ ـ ١١٨ للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الكليات الأحمدية ٨٩ ـ ٩١.

الفصل الثاني

الخلوات

من هذه الخلوات:

الخلوة المحرمية:

وهي خلوة سنوية تبتدىء من بعد يوم عاشوراء وهو اليوم الحادي عشر من شهر محرم، وتبقى أسبوعاً، ويشترطون فيها على المريد:

١ ـ أن لا يأكل اللحم كما في الوثنية الهندية.
٢ ـ أن لا يقرب النساء كما في رهبنة النصرانية.
٣ ـ أن يداوم على الوضوء.
٤ ـ أن يقول في خلوته: دستور يا أنبياء، دستور يا أولياء، دستور يا سيدي أحمد يا أبا العلمين مدد. ويوجه للرفاعي أبياتاً من الشعر يقول فيها:

إنـمـا الأولـياء في كل أرض ... لهـمـو من فيوضـك استـجـداء
أنت غوث البـلاد شرقـاً وغـربـاً ... بك تَسْـقِي بقـاعَـهـا الأنـواء
أنـت باب الـرجـا لكـل مريد ... ومـلاذ تُحـمـى به الـضعفـاء [1]

---

(١) تطبيق حكم الطريقة العلية على الأحكام الشرعية ٣١٨، القواعد المرعبة ١٥ و١٦ و٢٦، الفخر المخلد ٧١٤ المعارف المحمدية ٦٣.

الخلوة السنوسية:

وهي خلوة أسبوعية يشترطون فيها على المريد:

١ ـ ترك أكل اللحوم.

٢ ـ عدم الاقتراب من النساء.

٣ ـ يقول في اليوم الأول: (لا إله إلّا الله) ١٠٠٠٠ مرة، واليوم الثاني (الله) ٢٧٠٠٠ مرة يقول عندها: اللهم اسقني من خمر المشاهدة، وفي اليوم الثالث (وهاب) ٣٢٠٠٠ مرة، وفي الرابع (حي) ٣٥٠٠٠ مرة، وفي الخامس (مجيد) ٣٨٠٠٠، وفي السادس (معطي) ١٣٠٠[1].

وعند اجتياز مراحل معينة يُدخِل المرشدُ مريدَه في خلوة التهذيب واحداً وأربعين يوماً يكون فطوره فيها على خبز الشعير وماء السكر واللوز[2].

شروط الذكر في الخلوات:

ويشترطون على المختلي بنفسه شروطاً أهمها:

١ ـ أن يجعل شيخه بين عينيه قبل الذكر وأن يربط قلبه به ويستمد منه همته لكونه هو الواسطة له إلى الله، وهو باب الدخول على الله.

٢ ـ تغميض العينين أثناء الذكر.

٣ ـ الجلوس في مكان خال.

وهناك يتعلم أربعة أنواع من الرياضات كل نوع منها له ذكر خاص بعدد خاص، ثم تأتي الإشارة الرفاعية بترقيته إلى مرتبة «نقيب»[3].

---

(١) قلادة الجواهر ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) المعارف المحمدية ١٢٥.

(٣) المعارف المحمدية ١٢٣، قلادة الجواهر ٢٨٤.

ويتساءل المرء بعد هذا: أين هذه الطقوس المبتدعة وغيرها كثير من قول الصيادي: «ينبغي لكل من منَّ الله عليه بالإسلام أن يكون في جميع حالاته متابعاً له ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً». وقوله: «ومعلوم أنّ الله تعالى ما أرسل هذا الرسول إلّا ليطاع، وما بيّن ﷺ أحكام سنته إلّا لأجل الإتباع. والخير كله لمن اهتدى فاقتدى واتبع، والشر كله لمن زل فضل وابتدع، إلى أن أنشد قائلاً:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلَف [٢]

أين متابعته في القول والفعل والتقرير؟ وهل في هذه الطقوس شيء من المتابعة للنبي ﷺ؟

(١) قلادة الجواهر ٣٠٨.

الفصل الثالث

الأحزاب والأوراد

وللرفاعية أوراد وأحزاب عجيبة الصياغة تشتمل على أنواع من التوسلات لا قدوة فيها بأذكار النبي ﷺ التي علمنا إياها، مثل توسلهم إلى الله تعالى بالأحرف الهجائية، وبالقمر والنور. . . إلخ، ويعتقدون أنه هذه الأحزاب والأوراد كافية في دفع كل مكروه وجلب كل مقصود وطرد كل عدو ورفع صاحبها إلى أعلى عليين. شأنهم في ذلك شأن طرق التصوف الأخرى.

من هذه الأحزاب والأوراد:

١ ـ حزب السيف القاطع:

من داوم عليه لا يخذل ولا يهان ويكون بعين الله وظل رسوله ﷺ وهذا الورد يتضمن التلاعب بترتيب آيات الله تعالى وخلط بعضها ببعض على غرار فعل السحرة. مثال ذلك «وتقطعت بهم الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس، فلما رأينه أكبرنه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا إن الله اصطفاه عليكم شاكراً لأنعمه».

وبين كل مجموعة من الآيات يكتبون: «أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال»[1].

(١) قلادة الجواهر ٢٧١، إرشاد المسلمين ٦٩، المعارف المحمدية ٩١ ـ ٩٣، روضة الناظرين للوتري ٧٤.

وهذا معدن التخدير الذي يحدث للمتصوفة حيث إنهم يبتدعون أوراداً وأذكاراً ويظنون أنها تكفيهم البلية والعدو وتختصر لهم طريق الجهاد بالسيف إلى الاختباء في الزوايا والأديرة والتمتمة بهذه الأوراد.

٢ ـ ورد الجوهرة:

وجاء فيه: «اللهم أسألك بالجرة التي هي في جوهرة الأمر ومدة السر وحبل الإرادة وطريق التدوير ومنهج الغيب وسلسلة الهز وسبيل العز جرة جيم جوهر جمع مجموع جوامع جميع مجامع جمعيات الجلال والجمال والجلالات والجلجلة والجلوات والجوليات والجولات والجهريات والجريان والجاريات والجارات والمجرورات.. تعطفات رأفة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى مظهر قوة لطيف مذكرات ألم يجدك يتيماً فآوى قابلية سعادة سؤدد سلطنة إحسان ثم دنا فتدلى.. قال الصيادي: وهو مجرب للفتوح ولقضاء الحاجات»[1].

٣ ـ ورد روح الطالب:

ومما يقوله فيه: اللهم صل على روح السر الكائن بسر الروح الطالب، ومحل طلب أرباب المطالب، راء رحمتك المبرقع، واو ورد وحيك المنزل، حاء حقيقتك المطمئن[3]... قال عنه الصيادي: «هذا الورد مجرب لنجاح الأمور وحصول المطلوبات ولتفتيق الأسرار في قلب الطالب وسبباً لتوجه قلب رسول الله ﷺ إليه، ولها أسرار عجيبة وأنوار عظيمة»[4].

٤ ـ ورد الأنس:

ومما يقوله فيه: «اللهم صل على ألف إنس إنسان الأزل بحكمة باء برهان من لم يزل أصل الأشياء الكلية: آدم في حقيقة البداية أثر السر في آثار خفايا المظاهر

---

(١) قلادة الجواهر ٣٤١ ـ ٣٤٤.
(٢) المعارف المحمدية ٩٧.
(٣) قلادة الجواهر ٢٥١ ـ ٢٥٢.
(٤) قلادة الجواهر ٢٥٠.

الخفية، أول الكل في الأولوية: إنسان دار الغيب المبرقع بطلسم ﴿وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين﴾ المخاطب بـ: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك أحمدي الصفات أصل السبب في الإيجاد، فالكل منه والكل إليه.[1]. . إلخ. ثم قال الصيادي: «قال بهاء الدين الرواس قدّس الله سره: هذا الورد سيفٌ قاطع للمهمات وحبل موصل للمقصودات وله أسرار غريبة وشؤون عجيبة»[2].

٥ ـ حزب جوهرة الأسرار:

وجاء فيه: «اللهم صل على نورك الأسبق وصراطك المحقق الذي أرسلته بشيراً ونذيراً وداعياً الله بإذنك وسراجاً منيراً، نقطة مركز الباء الدائرة الأولية وسر أسرار الألف القطبانية الذي فتقت به رتق الوجود. فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات قلب القلوب وروح الأرواح وأعلام الكلمات الطيبات: القلم الأعلى والعرش المحيط، روح جسد الكونين وبرزخ البحرين. . . إلخ»[3].

قال الصيادي عن هذا الحزب: «وهو مجرب للفتوح ولقضاء الحاجات على العدو كالسيف القاطع»[4].

٦ ـ حزب الأسرار:

وجاء فيه: اللهم إنّي أسألك بالباء المعطوف وبباء البهاء، بتاء التأليف، بثاء الثناء، بجيم الجلالة، بحاء الحياء، بخاء الخوف، بدال الدلالة، بذال الذكر، براء الربوبية، بزاي الزلفى، بسين السناء، بشين الشكر، بصاد الصفا، بضاد الضمير، بظاء الظلمة، بعين العناية. . . إلخ[5].

---

(١) هذا الخطاب موجه إلى النبي ﷺ.
(٢) قلادة الجواهر ٢٦٣ ـ ٢٦٤.
(٣) قلادة الجواهر ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(٤) قلادة الجواهر ٣٤١.
(٥) قلادة الجواهر ٢٥٧ ـ ٢٥٨، المعارف المحمدية ١٠٢.

٧ ـ الحزب الكبير:

ومما جاء فيه: «اللهم إنّي أسألك بالحقوق الأزلية والنعوت الإلهية، الأجسام السماوية والملائكة العرشية والأفلاك الدائرة النورانية[١]... الخ».

٨ ـ الحزب الصغير:

وفيه: «اللهم أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك، وبأنواع أجناس أنفاس رقوم نقوش أنوارك، وبعزيز أعزاز أعز عزتك، وبحول طول جول شديد قوتك.. وبلوامع بوارق صواعق صحيح بهيج وهيج نور ذاتك... إلخ»[٢].

٩ ـ حزب الفتوح:

وفيه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم: حضر الفتوح وجاء المدد وأقبل الإقبال بحل العقد وانفلق الدجا وأفلح الرجا وجلي الظلام ورفعت الأعلام وصحت النقول وركبت الخيول وذهب الحرج وجاء الفرج... إلخ»[٣].

---

(١) قلادة الجواهر ٢٥٦.

(٢) قلادة الجواهر ٢٥٨.

(٣) قلادة الجواهر ٢٥٩.

الفصل الرابع

مجالس السماع (التواشيح الدينية)

يجتمع الرفاعية على التواشيح والأناشيد التي يمتدحون بها النبي ﷺ وأهل بيته وسلسلة مشايخهم، يطربون في هذه المجالس بشكل يؤدي إلى البكاء والعويل، بل إلى الرقص وتمزيق الثياب وتحدث حالة بينهم تسمى حالة «السكر» والغلبة.

وقد وصف الرفاعي حالهم هذا قائلاً: «فساعة تراهم وقد نزلت عليهم السكينة، وساعة معذبين محزونين، وساعة متلذذين مسرورين، فواحد يصرخ، وآخر يرقص، وآخر يبكي وآخر يطرب»[1].

الملائكة الصوفية يرقصون حول العرش:

ويعتقد الرفاعية أنهم بمجالس تواشيحهم إنما يقتدون بالملأ الأعلى «الملائكة الصوفية» الذين ينشدون ويرقصون أمام الله تعالى حول عرشه، وذلك على حد تعبير الصيادي الذي نسب إلى النبي ﷺ حديثاً موضوعاً لا أصل له زعم أنه قال فيه: «لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض بكى ثلاثمائة سنة، فأوحى الله إليه: يا آدم مم بكاؤك ومم جزعك؟ فقال: يا رب لست أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك، وإنما بكائي شوقاً إلى الملائكة «الصوفية» المتواجدين حول

---

(١) الفجر المنير ٧٧ ـ ٧٨.

العرش، سبعين ألفاً جرد مرد[1] يرقصون ويتواجدون[2] حول العرش. . . ويقولون: جل الملك ملكنا، لولا الملك هلكنا. فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ارفع رأسك وانظر إليهم. فرفع رأسه إلى السماء فنظر إلى الملائكة وهم يرقصون حول العرش وجبريل رئيسهم وميكائيل قوالهم[3]»[4].

ولقد ذكر الصيادي صفة الملائكة «الصوفية الملقبين بـ: «أهل السماع»: أن الله خلقهم من نور بهائه وخلق مثلهم سبعين ألفاً أقامهم بين العرش والكرسي لباسهم الصوف الأخضر، ووجههم كالقمر ليلة تمامه، لهم شعور كشعور النساء، وهم قيام متواجدون والهون، يتنقلون من العرش إلى الكرسي ومن الكرسي إلى العرش، حالهم شبيه بحال السكارى لما بهم من شدة التوله: إسرافيل قائدهم ومرشدهم، وجبريل عليه السلام رئيسهم، والله تعالى مليكهم وجليسهم[5].

مقام الجنون والسكر بخمرة المحبة:

وينتج عن هذا السماع حالة من الهذيان تسمى عندهم حالة «الجذب» وهي نوع من الجنون مثلما حكى اليافعي وغيره عن الشبلي أنه كان مولهاً بالله حتى أدخلوه المارستان (دار المجانين) مرتين[6] ثم كثرت ترجمات المجانين والمجاذيب في كتب طبقات الصوفية[7].

---

(١) بمعنى وجوههم كوجوه المردان أي الأولاد الصغار لا شعر يكسوها.

(٢) التواجد معناه الرقص أيضاً.

(٣) القوال هو المنشد الذي يغني في المجلس.

(٤) الفجر المنير ٨٠ ـ ٨١ للصيادي، قلادة الجواهر ١٨٥.

(٥) الفجر المنير ٨٠، قلادة الجواهر ١٨٥، وانظر طبقات الصوفية ١/١٣٦ المسمى «لوامع الأنوار في طبقات الأخيار» للشعراني.

(٦) روض الرياحين ١٧١، ط: البابي الحلبي، مصر ١٩٥٥م.

(٧) انظر مثلاً ترجمة سعدون المجنون ٦٤، وريحانة المجنونة ٧١، وبهلول المجنون ٧٥، محمد المقدسي المجنون ٤٠٧ من كتاب روض الرياحين لليافعي، وانظر إلى تراجم بعض =

وينتج عن السماع أيضاً حالة شبيهة بحال المخمور من الخمر، وذلك كما قال الشيخ منصور البطائحي (خال الشيخ أحمد) «المحب سكران في خمارة»[1]. وكما وصفوا حال الشيخ أحمد بأنه: كان دائم السكر من خمر محبة الله[2].

وهذا السكر أخذ عند الصوفية اهتماماً كبيراً لأنه النتيجة التي يسعون وراءها في مجالسهم، ولذلك أفرد له القشيري مكاناً في رسالته وسماه «مقام الصحو والسكر»[3]. وانقلب وصف المخمورين والسكارى من وصف مذموم إلى وصف محمود دال على بلوغ أسمى مقامات العبودية والمحبة، ولم يعد غريباً أن يلقب الرفاعية أولياءهم بهذه الصفة مثل لقب «ولي الله السكران»[4].

= المتصوفة المجاذيب بالجملة من كتاب جامع كرامات الأولياء للنبهاني.

(١) روضة الناظرين للوتري ٢١. (٢) قلادة الجواهر ٣٨.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٨.

(٤) ذخيرة المعاد في سيرة بني صياد ٢٢. وانظر كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله ١٤٥ و١٥٥.

الفصل الخامس

آداب المريد مع شيخه عند الرفاعية

وضع التصوف قوانين وشروطاً في علاقة المريد مع شيخه، بعض هذه الشروط تسلب المريد شخصيته وإرادته، بل وتحطم كرامته، وتسخّره لخدمة شيخه. أمّا المميزات التي يقدمها الشيخ لمريده مقابل ذلك فتتمثل في قول الشيخ الرفاعي[1]:

لا يكون الشيخ كاملاً حتى يحضر عند تلميذه في أربعة مواضع:

١ ـ عند خروج روحه من جسده.
٢ ـ عند مسألة منكر ونكير له.
٣ ـ عند جوازه على الصراط.
٤ ـ عند الميزان.

فالشيخ في المقابل يضمن للمريد حياته ومماته وحاجته في الدارين الدنيا والآخرة.

ماذا يجب على المريد تجاه الشيخ؟

عليه التحلي بالآداب التالية[2]:

---

(١) قلادة الجواهر ١٩٣.
(٢) قلادة الجواهر ٢٧٨.

١ ـ تعظيم الشيخ المرشد وتوقيره ظاهراً وباطناً.
٢ ـ عدم الاعتراض عليه في شيء ولو كان ظاهره حراماً.
٣ ـ يؤول ما يبهم عنده من فعل الشيخ.
٤ ـ لا يلتجيء لغيره من الصالحين.
٥ ـ لا يقعد وشيخه واقف.
٦ ـ لا ينام بحضرة الشيخ إلّا بإذنه.
٧ ـ لا يمشي أمامه ولا يساويه في مشيه إلّا بليل مظلم ليكون أمامه صوناً له.
٨ ـ التواضع للشيخ ولذريته ولأقاربه.
٩ ـ ثبوت القدم على خدمته وأوامره جزئيِّها وكليِّها.
١٠ ـ يستحضر شخص شيخه في قلبه أثناء الذكر ويجعله بين عينيه قبل الذكر، فإن شيخه هو باب الدخول على الله ومنه يستمد الهمة. ويكون الشيخ عنده كالقبلة[١]. فبذلك يمد له نور من قبر الشيخ الرفاعي.

وهذا شرط عند العديد من طرق التصوف كالنقشبندية وغيرها، ويسمى بمقام الرابطة وهو: أن يضع المريد شخص شيخه وصورته نصب عينيه عند الذكر.
١١ ـ الذكر جهة مرقد السيد الرفاعي ثم جهة المدينة المنورة[٢].
١٢ ـ يكون ملازماً له ولا يفتر عنه طرفة عين.
١٣ ـ يقف كالميت لا يتحول عن باب شيخه[٣].

لا سبيل إلى بلوغ الدين من دون شيخ:

والحاجة إلى الشيخ عند الرفاعية والصوفية بوجه عام ملحَّة في الدين، إذ لا سبيل إلى بلوغ الدين بدون الشيخ، ولا يستطيع سلوك الطريق بدونه ولو عَبَدَ الله

(١) قلادة الجواهر ١٧٧، الفجر المنير ٦٨.
(٢) القواعد المرعية ١٤.
(٣) قلادة الجواهر ٢٨٤.

بعبادة الثقلين. بل كان من عَبَدَ الله بلا شيخ فلا الله حصل له ولا نبيه ولا شيخه[1] هكذا قالوا، ومعناه أن علمه قد حبط ولم يقبل بلا شيخ.

ويذم الرفاعية من لا شيخ له ويجعلون شيخه الشيطان كما يقول الصيادي[2].

وقد وصل الغلو بالصيادي أن اعتبر أنه: لو كان الرجل يوحى إليه ولم يكن له شيخ فإنه لا يجيء بشيء مطلقاً[3].

ويروي الصيادي أن البدوي كان يربي بالنظرة الواحدة من على السطح الذي بقي عليه طوال عشر سنوات. وكان تلميذه عبد العال يأتيه بالرجل الجاهل فيقف به تحت السطح وينادي: سيدي أحمد، فيشرف عليه من أعلى السطح وينظر لذلك الرجل فيملؤه مدداً ويقول لعبد العال: قل له يسكن بالبلد الفلاني[4].

ولا عجب بعد هذا إذا عبد المتصوفة ربهم على جهل وجانبوا السنة.

ولا عجب بعد هذا إذا حصل مشايخ المتصوفة على درجة من التقديس زينت لهم الوقوع في مخالفات أخلاقية ألمح بعضهم إلى الشكاية منها كالقشيري الذي قال: «ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث متمنياً على الذين حكوا بعض حكايات المشايخ في ذلك لو أنهم أسبلوا الستر عنهم وعن آفاتهم»[5].

ولما التبس حال هؤلاء المشايخ على الناس، صاروا يأتون بأسوأ الأحوال ويرتكبون الموبقات، والناس يسلمون لهم أحوالهم ويبررونها. حتى إنك لتجد رجلاً كالنبهاني يسوق لك من كرامات أحد مشايخ التصوف أنه «كان لا يركب امرأة

---

(١) قلادة الجواهر ١٧٧.

(٢) قلادة الجواهر ١٤٣، الفجر المنير ٦٨.

(٣) سلاسل القوم ٣ للصيادي، ط: مطبعة السعادة، مصر. وانظر الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ٨٧.

(٤) سلاسل القوم ٤١.

(٥) الرسالة القشيرية ١٨٤.

من بنات الخطأ وتعود إلى الزنا أبداً»[1].

وأنّ أحد الأولياء تدخل عليه امرأة فتجد عنده نساء «يكبسنه» فتنكر ما رأت بقلبها، فيكتشف ذلك منها ويقول لها: إن فيك ثلاث علامات: علامة تحت إبطك وعلامة في فخذك، وعلامة في صدرك. وذلك إشارة إلى أنه لا يخفى عليه شيء من جسدها ولا قلبها. فتسلم له حاله وتتوب من الإنكار وتقر بأن هذه العلامات لم يعرف بها حتى زوجها[2].

ثم يحكي لك النبهاني قصة ولية من أولياء الله «شابة» يراودها أحد مريديها فتجيبه: «ظاهراً»[3] فيضاجعها ويجدها كالخشبة اليابسة فيقول: «الثديان ألين شيء في المرأة. فيلمس ثدييها... إلخ»[4].

وتجد رجلاً كالشعراني يذكر لك أن مما أنعم الله به عليه أنه انكسر قفص طبعه حتى صار لا يستحيي من تعليم النساء الأجنبيات آداب الجماع[5].

إن مبدأ الطاعة العمياء وتسليم حال الشيخ على الإطلاق واعتبارها كرامة أوقع المتصوفة في الفواحش، مثلما يروي الشعراني عن الشيخ علي أبي خودة أنه كان «رضي الله عنه» يفعل الفاحشة في خدمه وعبيده، وكان إذا رأى أمرداً راوده عن نفسه وحسس على مقعدته أمام الناس لا يبالي بوجودهم[6].

---

(١) جامع كرامات الأولياء ٢/٣٢٧.

(٢) طبقات الصوفية للشعراني ٢/٩٥.

(٣) وهذا يعطيك فكرة عن المسخ الذي أحدثه هذا الظاهر والباطن الذي اقتبسه الصوفية من فرق الباطنية الشيعية، فإنك تجد في هذه القصة أن هذه الولية أجابته إلى ما طلب منها ظاهراً، أمّا باطناً فإنها لم تكن مستجيبة له. وإنما كانت تنوي تأديبه وتوبيخه كما أفادته القصة.

(٤) جامع كرامات الأولياء ١/٣٠١.

(٥) لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق ٥٢١ للشعراني.

(٦) طبقات الصوفية للشعراني ٢/١٣٥، وانظر جامع كرامات الأولياء ٢/١٩٤.

خاتمة

لماذا هذا الكتاب؟

قد يقول قائل: ما جدوى هذه الدراسة في وقت تحتاج فيه الأمة إلى جمع الكلمة ونبذ الخلاف؟

أجيب على ذلك ببيان الأسباب التالية:

١ ـ إن هذا الكتاب إنما كُتِبَ طاعة لله في أداء الشهادة وتبيين السنة إذا ما ظهرت البدع والمحدثات وظنها الناس هي السنة.

٢ ـ إن هذا الكتاب إنما جاء ليكون نهياً للرفاعية وغيرهم عن منكرات الشرك والاستغاثة بغير الله، ولردعهم عما يعلّمون الناس من أصناف البدع.

٣ ـ إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لضرب القلوب ببعضها واختلافها، وعلى هذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب توحيد الأمة وجمع الكلمة والتخلص من أسباب الخلاف.

كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة:

٤ ـ إن توحيد الله أولى من توحيد الصفوف، ومنكرات الصوفية تتضمن خلاف توحيد الله. فأيهما نقدم على الآخر: توحيد الله أم توحيد الصفوف؟ والحق الذي يُؤمن به كلّ ذي علم أن جمع الناس على توحيد الله ينتج عنه توحيد الناس، ولا

يجوز، ولا يمكن جمع الأمة على خليط من اعتقادات التوحيد والشرك والسنة والبدعة، والوحي والهوى، والحق والباطل مهما اجتهد المصلحون، لأنّ الله هو الذي يؤلف القلوب وهو الذي يفرقها إن شاء كما قال: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألّفَ بينهم**﴾. وكان ذلك بعد أن اجتمعوا على التوحيد الخالص والطاعة المطلقة ونبذ البدع والشرك التي هي من عوامل التفرق والتشرذم والتحزّب.

٥ ـ إن الله لا ينصر الأمة وفيها هذه المخالفات، وكيف ينصرنا الله على الأعداء المشركين وعندنا نصيب من شركهم؟ إن مخالفات التصوف ممرضة للمجتمع المسلم تعيقه عن قيامه في وجه أعدائه، فإذا كان المجتمع المسلم مريضاً فيجب مداواته قبل تكليفه بالقيام في وجوه أعدائه.

٦ ـ إن البدعة لا تعرف حداً تقف عنده، وإنما هي في تطور مستمر، فإن لم نعمل على إنكارها اليوم فسنجد أنفسنا غداً محاطين ببدع أعظم لن نقدر على ردعها وإنكارها، وستختفي أكثر السنن وتضيع كما ضيّعت بدع أهل الكتاب من قبل دينهم.

٧ ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط رسول الله ﷺ خطاً، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال:

هذا سبيل الله، وهذه السبل على رأس كل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) إسناده حسن بمجموع طرقه. وقد رواه الحاكم ٢/٣١٨، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وقال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»[1].

وقال القاضي عياض: «أفضل العمل أخلصه وأصوبه. قالوا ما معنى ذلك؟.
قال: إن العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل.
وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل أيضاً.
ولا يقبله الله إلّا إذا كان خالصاً صواباً.
والخالص أن يبتغى به وجه الله تعالى.
والصواب أن يكون على السنة».

سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلّا أنت. أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب القدر: باب النهي عن القول بالقدر، ويشهد له حديث ابن عباس كما عند الحاكم ١/٩٣ بسند حسن فيتقوى به.

فهرس المصادر

آداب المريدين: عبد القاهر السهروردي، ط. دار الوطن العربي، القاهرة.

أبو الحسن الشاذلي: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، القاهرة.

أبو حامد الغزالي والتصوف: عبد الرحمن دمشقية، دار طيبة.

إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي: إبراهيم البرنزمي، ط. بولاق، مصر ١٣٠١ هـ.

إحياء علوم الدين: الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين: أحمد الفاروثي، ط. محمد أفندي ١٣٠٧ هـ، القاهرة.

الأسرار الإلٰهية شرح القصيدة الرفاعية: محمود شكري الألوسي، ط. الخيرية، مصر.

الأعلام: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

الإمامة عند الجعفرية في ضوء السنّة: علي السالوس، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: للشعراني عبد الوهاب، ط. المكتبة الشعبية، بيروت.

البداية والنهاية: ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

البرهان المؤيد: أحمد الرفاعي، ط. الشعب، تحقيق صلاح عزام.

بغية أولي الأفهام في الفرق بين الحال والمقام: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.

البارقة: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.

بوارق الحقائق: بهاء الدين الرواس، ط. عبد الحكيم عبد الباسط.
بين الشيعة وأهل السنّة: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنّة، باكستان.
تاريخ ابن الوردي: ابن الوردي، دار المعرفة، بيروت.
التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد: الصيادي، المطبعة المحروسة.
تربيتنا الروحية: سعيد حوى، ط. دار الكتب العربية، بيروت.
ترياق المحبين: الواسطي تقي الدين، المطبعة البهية ١٣٠٤ هـ.
تسلية البال في إحكام منافذ الخيال: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل
تفسير ابن عربي: ابن عربي، دار الأندلس، بيروت.
تلبيس إبليس: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
تنوير الأبصار: الصيادي.
جامع كرامات الأولياء: النبهاني، يوسف بن إسماعيل، دار صادر، بيروت.
حالة أهل الحقيقة مع الله: أحمد الرفاعي.
الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن.
الحق المبين في إبهات الحاسدين: تحقيق وطبع عبد الحكيم عبد الباسط، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
الحكومة الإسلامية: الخميني.
حلية الأولياء: أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
خزانة الإمداد في أخبار الغوث السجاد عز الدين الصياد: الصيادي، ط. الواعظ، مصر.
دائرة المعارف الإسلامية: تعريب فريد وجدي.
دراسات في التصوّف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان.
الدرة البيضاء: ضمن المجموعة النادرة.
الدرة الفريدة

دول الإسلام: الذهبي، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ديوان الفيض المددي: الصيادي، ط. مطبعة الجوائب، تركيا.
ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد: الصياد، ط. محمد مصطفى أفندي ١٣٠٧ هـ.
الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
رسالة الرد على الرافضة: أبو حامد المقدسي، الدار السلفية، الهند.
الرسالة القشيرية: القشيري، ط. دار الكتاب العربي.
رماح حزب الرحيم على حزب الرجيم: عمر بن سعيد الغوثي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.
روض الرياحين: اليافعي، ط. البابي الحلبي، مصر ١٩٥٥م.
الروض النضير على هامش رياضة الأسماع: عبد الرحمن القرشي، ط. التمدن، مصر.
روضة الناظرين: الوتري، ط. المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ، مصر.
زعماء الإصلاح في العصر الحديث: مكتبة النهضة المصرية، مصر.
سر الحال: تحقيق عبد الحكيم عبد الباسط، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
سلاسل القوم: الصيادي، ط. مطبعة السعادة، مصر.
السلطان عبد الحميد حياته وآثاره: أورخان محمد علي، ط. دار الوثائق.
سواد العينين في مناقب سيدي أبي العلمين: عبد الكريم الرافعي.
السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة: محمد صبحي منصور، ط. الدعوة الإسلامية.
السيد محمد رشيد رضا: إصلاحاته الاجتماعية والدينية، محمد درنيقة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.
سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
تفسير المنار: محمد رشيد رضا.
شذرات الذهب: ابن العماد، ط. دار الفكر، بيروت.

الشرف المحتم فيما من الله به على الرفاعي من تقبيل يد النبي ﷺ : السيوطي، ط. الميرية.
الشيعة وأهل البيت: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان.
الشيعة والسنّة: إحسان إلهي ظهير، دار طيبة الرياض.
الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان.
صحوة الرجل المريض: موفق بني المرجة، مؤسسة صقر الخليج، الكويت.
صريح الكلام في حكم عالم المنام: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
الصلة بين التصوف والتشيع: مصطفى كامل الشيبي، ط. دار المعارف، مصر.
ضوء الشمس في قول النبي بني الإسلام على خمس: الصيادي أبو الهدى، ط. عبد الحكيم عبد الباسط.
طبقات الشافعية: السبكي، دار المعرفة.
طبقات الصوفية المسمى لواقح الأنوار: الشعراني، المكتبة الشعبية.
طبقات الصوفية: ابن الملقن، مكتبة الخانجي، القاهرة.
الطرق الصوفية: عامر النجار، ط. مكتبة الأنجلو، مصر.
الطرق الصوفية ومشايخها في طرابلس: محمد درنيقة، ط. دار الإنشاء.
طريق السلامة: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
العبر في خبر من غبر: الذهبي، ط. دار الكتب العلمية.
العبرة في حكم الهجرة: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
العقود الجوهرية: أحمد العمري، ط. محمد أفندي مصطفى.
عوارف المعارف: السهروردي، ملحق بكتاب إحياء علوم الدين.
الغارة الإلٰهية: الصيادي.
غاية الأماني في الرد على النبهاني: الألوسي محمود، دار إحياء السنّة النبوية.
فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ط. السلفية.
الفتح الرباني والفيض الرحماني: عبد القادر الجيلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

الفتوحات الإلٰهية: ابن عجيبه، ط. عالم الفكر، مصر.
الفجر المنير في بعض ما ورد على لسان الرفاعي الكبير: ط. المطبعة العامرة ببولاق.
الفخر المخلد في منقبة مد اليد: الصيادي.
فضيلة الحكمة: ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
الفكر الشيعي والنزعات الصوفية: مصطفى كامل الشيبي، مكتبة النهضة بغداد.
الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنّة: عبد الرحمن عبد الخالق، ط. ابن تيمية، كويت.
قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر: الصيادي، ط. محمد أفندي مصطفى، مصر.
الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار صادر، بيروت.
الكليات الأحمدية: جمعة الصيادي، مطبعة الواعظ، مصر.
الكنز المطلسم: الصيادي، المطبعة العلمية، مصر ١٣١٣ هـ.
الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: عبد الرؤوف المناوي، ط. الأنوار.
لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق: الشعراني، عالم الفكر، مصر.
لمحة النظر في لزوم الصبر: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
الماسونية في العراء: محمد علي الزعبي.
مجموع فتاوى ابن تيمية: أحمد بن تيمية، ط. الرياض.
مجموعة أوراد الطريقة المهدوية الرفاعية: عبد اللطيف الحسيني الحسن.
المجموعة النادرة: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
محجة العظماء في تعظيم العلماء: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
مذكراتي السياسية: السلطان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة.
مسألة الإمامة: محسن عبد الناظر، الدار العربية للكتاب.

مشتهر الخارف في زلقات التيجاني الجاني: محمد الشنقيطي، ط. دار البشير، عمان.
المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية: الصيادي، ط. محمد أفندي ١٣٠٥ هـ.
مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون، دار القلم، بيروت.
مكتبة الجلال السيوطي: أحمد الشرقاوي إقبال، ط. دار المغرب ١٣٩٧ هـ.
المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية: محمد أمين الكردي، ط. السعادة.
ميزان العمل: الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت.
النجوم الزواهر: أحمد الرحبي الحسيني، ط. دار الحرية، بغداد.
النخبة في أحكام النسبة: الصيادي، ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف: الصيادي، ط. محمد مصطفى أفندي، مصر.
الهمة في آداب أتباع الأئمة: القاضي النعمان المغربي الباطني، ط. الفكر العربي.
الوثنية في ثوبها الجديد: سمير شاهين، دار الأنصار، مصر.

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥

الكتاب الأول: الرفاعي ٧

. الفصل الأول: سيرة الرفاعي من خلال
كتب المؤرخين ٧
. الفصل الثاني: سيرة الرفاعي في كتب الرفاعية ١٠
. الفصل الثالث: قصة نسب الرفاعي إلى
آل البيت ٢٠
الفصل الرابع: قصة مد يد النبي من خارج قبره ٢٧

الكتاب الثاني: كرامات الرفاعية ٣١

. الفصل الأول: التصرف في الأكوان ٣١
. الفصل الثاني: العروج إلى السماء ومحو الأقدار ٣٤
. الفصل الثالث: علم الغيب المطلق ٣٦
. الفصل الرابع: تحذير الرفاعي أتباعه من
الكذب والابتداع ٣٨
. الفصل الخامس: كرامات منتحلة ٤٣

الكتاب الثالث: غلو الرفاعية ٤٧

. الفصل الأول: نماذج من غلو الرفاعية
في شيخهم ٤٧
. الفصل الثاني: قرية الرفاعي ٤٩

الكتاب الرابع: الشرك بالله في الاستغاثة ٥٥

. الفصل الأول: الرفاعية والاستغاثة ٥٥
. الفصل الثاني: موقف أتباع الرفاعي
من الاستغاثة بغير الله ٥٩
. الفصل الثالث: التثبيط عن دعاء الله والاستغاثة به ٦٣

الكتاب الخامس: الرفاعية والشيعة ٦٥

. الفصل الأول: أوجه التلاقي بين
الرفاعية والشيعة ٦٥
. الفصل الثاني: الرفاعية وعلم الباطن ٧٠
. الفصل الثالث: الخرقة الصوفية وصلتها بالتشيع ٧٤

الكتاب السادس: شرائع لم يأذن بها الله ٧٧

. الفصل الأول: الشعائر والطقوس الرفاعية ٧٧
. الفصل الثاني: الخلوات ٧٩
. الفصل الثالث: الأحزاب والأوراد ٨٢
. الفصل الرابع: مجالس السماع ٨٦
. الفصل الخامس: آداب المريد مع شيخه
عند الرفاعية ٨٩
خاتمة ٩٣
فهرس المصادر ٩٧
الفهرس ١٠٣